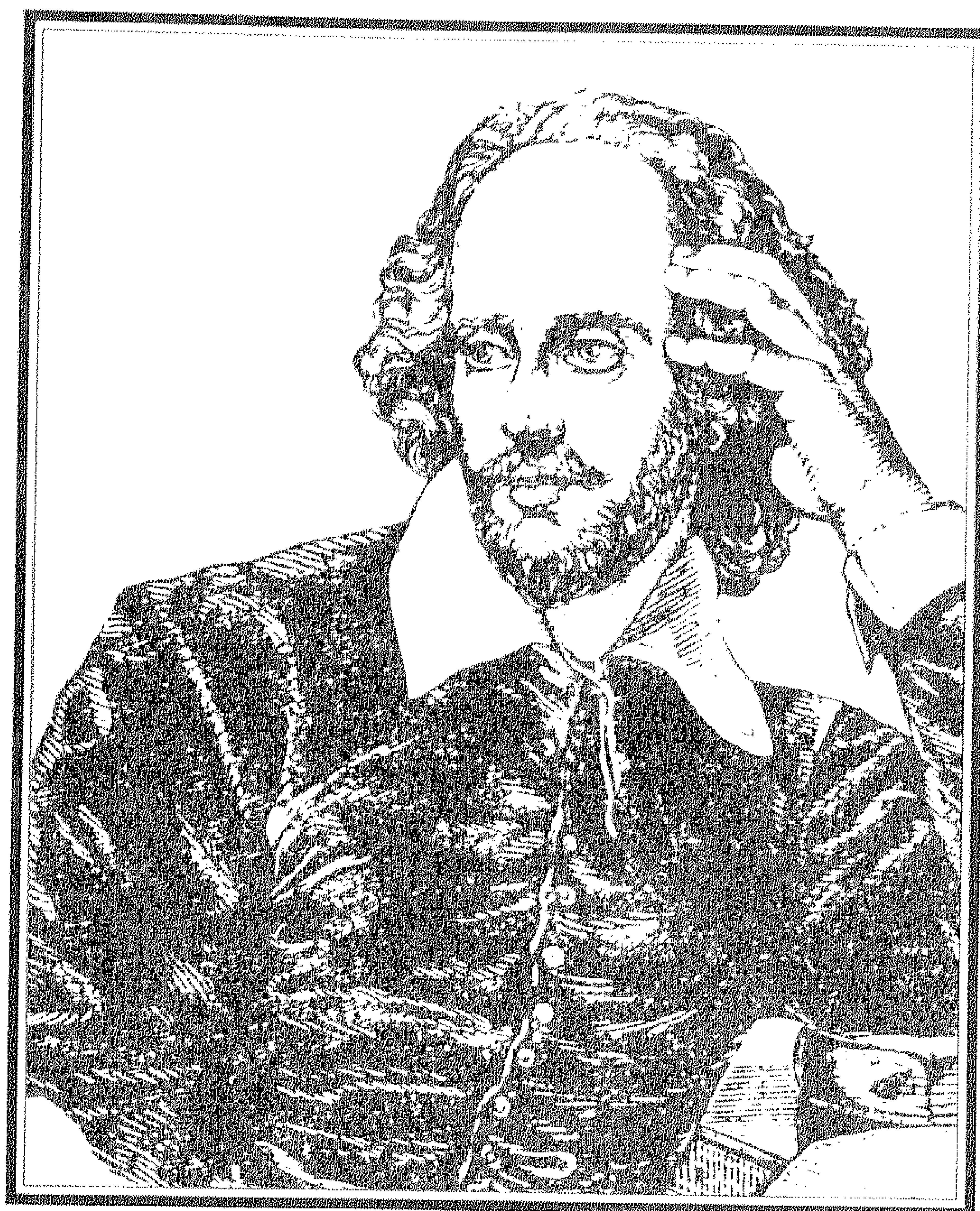
وليم شكسبير

# مكبث

ترجمة وتعليق: صلاح نيازي



مؤسسة الانتشار العربي
Arab Diffusion Company

# مكبث

تأليف: وليم شكسبير

ترجمة وتعليق: صلاح نيازي



# مكبث

تأليف: وليم شكسبير

ترجمة وتعليق: صلاح نيازي

# Makbeth

*BY:*

William Shakespeare




LONDON - BEIRUT
Email: arabdiffusion@hotmail.com

P.o. box: 113/5752 - Beirut

*ISBN: 1 84117 017 8*

**First Published in 2000**



الطبعة الأولى: ٢٠٠٠

# المحتويات

## مقدمة المترجم

ما المبرر لهذه الترجمة العربية الجديدة لمكبث، وقد تُرجمت من قبل؟ قد يُجاب عن هذا السؤال بسؤال مشابه: لماذا توجد عدّة طبعات لمكبث باللغة الانكليزية، علماً أن النصّ فيها يكاد يكون واحداً، والاختلافات في قراءة كلمة هنا، أو كلمة هناك تكاد تُعَدّ؟

الشرّاح الانكليز يجدون مبرّرهم في طريقة فهم النصّ، لذا تختلف هذه الطبعات باختلاف ثقافات الشرّاح ومكنتهم من تحليل فهم النصّ وتقنياته، ومدى تعمّقهم في تصوّرات وعقائد ومفاهيم العصر الاليزابيثي الذي عاش فيه شكسبير.

المترجم العربي لا يختلف في مبرراته عن الشارح الانكليزي، مع فارق جسيم هو أنّ الترجمة مهما كانت أمينة ودقيقة تبقى غير دقيقة. لذا فالترجمات المتعددة لعمل واحد، إثراء بوجه أو بآخر ومحاولة للاقتراب من النص أكثر فأكثر.

أما مبررات الترجمة هذه، فكانت ردّة فعل، على اجتهادات غريبة في الترجمات السابقة، غرابة لافتة للنظر، تضرّ بشكسبير، وبالقارىء العربي في آن واحد. إذن لننظر قليلاً في آخر ترجمة لهذه المسرحية التي تتوالد فيها المعاني في كل قراءة جديدة لها، وفي كل إخراج مسرحي أو سينمائي.

ترجم الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا «مكبث» ونشرتها وزارة الاعلام في الكويت عام ١٩٨٠. جبرا من أكثر المترجمين العرب اهتماماً بالمسرح الشكسبيري، وله فضل في هذا المجال. لا يعرف هذا الفضل ـ حق المعرفة ـ إلا الذين مارسوا ترجمة النصوص الجادة، خصوصاً نصوص شكسبير. فهو بالاضافة إلى لغته الاليزبيثية البعيدة نوعاً ما عن اللغة المتداولة اليوم، فإنه لغات في اللغة الواحدة، أي أن أبطال مسرحياته يتحدثون كل بمستواه الفكري والمهني والاقتصادي. ثم أنه لغات عدة داخل الشخص الواحد، فهو يتكلم، لا على نمط واحد من التفكير، بل على أنماط مزاجية متباينة، قد تتناقض، كمواد كيماوية تفقد صفاتها الأصلية بالتفاعل. وفوق هذا وذاك فإن اللغة الإنكليزية عموماً لغة التلميح. وتزداد هذه الحالة تعقيداً كلما تعقّدت الحوادث والتصاريف. فالخائف والمخمور والمستشيط غضباً يبترون الكلام. وكأن لا رابط بين الجمل. وهي صعب فهمها حتى على المتخصصين المتكلمين بالإنكليزية، ولك أن تقدر عِظَم ما يعانيه المترجم من صعوبة في ترجمتها.

المسرحية الشكسبيرية ـ وكل المسرحيات الكبرى عموماً ـ نسيج سمفوني متعدد الآلات، والمترجم في هذه الحالة، قائد موسيقي يهتم بكل آلة، ويعطيها الإصغاء الكامل. يمهّد كذلك لتقديمها باحترام. إذن هذه محاولة متواضعة للإسهام في تطوير الترجمات الشكسبيرية، وهي أبعد ما تكون عن النقد أو التجريح، أو ـ في الأقل ـ هذه نية كاتب السطور.

لا بد من القول أولاً، إن الترجمة العربية خلت من الشروح إلا قليلاً. بينما الطبعات العديدة لمسرحية «مكبث» بالإنكليزية، تتنافس في ما بينها، وتتفاضل بنوعية شروحها للنص ولا أدري لِمَ يحتاج القارىء الإنكليزي إلى كل هذه الشروح والتعليقات لزيادة الفهم، ويحرم منها القارىء العربي؟

على أية حال، يعتبر بعض النقاد الإنكليز مسرحية «مكبث» أعظم ما كتب شكسبير من مآسٍ لغزارة ثيماتها، وثراء استعاراتها.

لكن لِمَ كل هذا الاهتمام بمسرحية «تنزف دماً... دماً مغثياً حقيقياً، نراه ونحسّه ونشمّه في كل شيء»؟ كما يقول مارك دورن.

أبسبب من مادتها التاريخية ـ والتاريخ فيها محرّف ومشوّه؟ ـ أم بسبب فداحة المآسي التي اجتاحت بطليها الرئيسيين ـ وهما مجرمان؟ ـ أم بسبب صورها الشعرية الحيّة ومجازاتها البالغة العمق؟

يقول تيرنس هوكس: «تركت مسرحية مكبث بصمتها على نقّاد القرن العشرين، كمسرحية ذات مغزى معاصر يدعو إلى الدهشة، فعلى رغم استغراقها بعالم قديم، وبالساحرات وتعاويذهنَّ ورقاهنَّ، إلا أن الذين كتبوا عن المسرحية في عصرنا هذا، يشيرون إلى حسٍّ متنام، بأن بطل المسرحية يتحدث بصوت معاصر من داخل وضع سياسي وأخلاقي معاصر عن قضايا معاصرة».

تعتبر «مكبث» في الوقت الحاضر قصيدة شعرية من أعلى المستويات، مقابل مسرحية تاريخية أو تراجيديا. وهي بلا شك قصيدة ممسرحة، قصيدة أوبرالية متعددة الأصوات، ولكنها متواشجة كعلاقة الدلتا بالنهر، أو علاقة الأغصان بالجذر، فهي على هذا، لا تفهم من خلال شخصياتها، ولكن من خلال ثيماتها وصورها المجازية».

يقول سن غوبتا: «ثمة اتفاق بين النقاد على أن الرموز في مسرحية مكبث، هي التي يجب أن تكون همّنا الأول، وليست الشخصيات أو عقدة المسرحية».

في هذه المسرحية المدماة يجعلك شكسبير، لا متفرجاً على مسرحية، بل جزءاً منها. منذ البداية تشعر أنك مدفوع في سرعة الحوادث وقصر المشاهد. دوامة تعطل فيك القدرة على التمييز. ودوار يفكّك مملكتك الصغيرة ـ كيانك الخاص. وحتى يزيد من لهاثك العاطفي والفكري، شحن شكسبير لك في هذه القصيدة، أسئلة حادة مقتضبة، والإجابة عنها تزيدك ارتباكاً وخوفاً.

تبدأ «مكبث» ـ أول ما تبدأ ـ بالساحرات يتساءلن: متى اللقاء؟ وأول جملة ينطقها الملك: «ما هذا الرجل المتسربل بالدم؟» هكذا تبدأ «مكبث» «بنوع من اليقين في اللايقين» كما يقول برادفورد.

نرى في «مكبث» رموزاً من الشر على المسرح، حقائق ملموسة، لم

تظهر قبل ذلك على هذه الصورة في المسرحيات الشكسبيرية، وللمرة الأولى نرى الجحيم ينزل إلى المسرح. العقاب هنا، أمامنا بكل أبعاده العنفية والمأسوية. عالم متزلزل لا يستقر أمام العين.

كان هم مكبث أن يقتل الزمن، وأن يقتل النوم، وأن يقتل المستقبل. قتلها جميعاً. لكنها عادت إليه أشباحاً تمزقه من الداخل. «حرّمت عليه النوم» و«صار كل صوت يرعبه»، عيناه تريان ولا تريان. ثم ما لبث أن شرعت حواسه بالصراع والتقاتل في ما بينها. أغرب معركة، ربما في تاريخ الأدب. الذي يسمعه لا يراه، والذي يراه لا يلمسه، وكذلك لا وجود لما يشمّه.

ثم أنّى لمكبث أن يمنع المستقبل من القدوم؟ وقبل ذلك أراد أن يجمع رائحة جريمته، بشبكة صيد الأسماك. وكأي طاغية، لا يستشير إلا نزواته، ولا يخاف عاقبة، فإن مشكلة مكبث الإنسانية تركزت في تقليص المسافة بين الفكرة والعمل، بين النية والتطبيق، أراد ليده أن تفكر بالنيابة عن عقله، وهكذا كان أو كاد. كممثل لا يجد وقتاً لاستظهار كلماته، فأخذ يرتجل دوره. لكن الدم الذي تلطخت به يداه «لم تستطيع البحار أن تزيله» والليدي مكبث في ركن آخر، مغمضة العينين، وفي يدها شمعة، تهذي وتفرك يديها، متصورة الدم مايزال عالقاً بهما: «هنا ماتزال رائحة الدم: كل عطور العرب لن تطيّب هذه اليد الصغيرة أوه! أوه! أوه!». حتى طبيبها يائس: «هذه العلة وراء نطاق علومي».

كذلك كان مكبث: شخصية واقعية تفتش عن دور خيالي، ثم أصبح ممثلا لا وقت له لاستظهار الكلمات، وأخيراً مخرجاً بلا ممثلين، فأخذ الأدوار جميعاً، وفشل فيها جميعاً قائلاً:

« يزحف غدٌ، وغدٌ، وغدٌ
بهذه الخطى البطيئة من يوم إلى يوم
إلى آخر لحظة مكتوبة للحياة
وكل أيّامنا المضية أنارت للحمقى

الطريق إلى الموت المعفّر
انطفئي، انطفئي أيتها الشمعة القصيرة الأجل
ما الحياة إلاّ ظل سائر، ممثل بائس
يؤدي ساعته على المسرح بتبجح وحماسة
ثم لا يُسمع منه شيء. الحياة حكاية
يرويها ممثل أخرق، مشحونة بالصخب والنزق
ولا تعني شيئاً».

متى تجوز الاضافات في الترجمة؟

من حق المترجم أن يضيف كلمة هنا، أو كلمة هناك، شرط أن لا يخل في البناء العضوي للنص أولاً، أو إذا ارتأى أن الاضافة لمصلحة القارىء ـ فهماً وتأثيراً.

مع ذلك فالتشابيه التي أضافها المترجم، قد تبدو لبعض القراء في غير محلها. لنأخذ ثلاثة أمثلة:

١ ـ في طبخة السحر التي تعدها الساحرة، جمعت في قدرها حراشف تنين، وسن ذئب، ومسحوقاً من جزء من جسد مومياء.
يقول المترجم:
«حراشف تنين هذه
وأنياب ذيب كالقنطريب»
أضاف المترجم هنا على النص الإنكليزي: «كالقنطريب»، وهذه الكلمة لم أعثر عليها في القواميس المتيسرة لدي.

٢ ـ وفي الطبخة نفسها (والمترجم قدّم أبياتاً وآخر دون أن يذكر سبباً) قال: «... وأنف تركي أفندي»، وهنا أضيفت «أفندي» في النص العربي، وقد لا تكون لها ضرورة.

٣ ـ يلفت النظر، ما أضافه المترجم في بداية المسرحية، حين تتساءل الساحرة الأولى عن زمان لقاء الساحرات ومكانه:

«متى نلتقي ثانية نحن الثلاث

في رعود وبروق وأمطار كاللهاث».

فأضاف أولاً كلمة: «كاللهاث»، وهي كما يبدو قلقة في هذا المجال بالذات، ذلك أن الساحرات الثلاث ينتقلن بلا عناء، وبرمشة عين من مكان إلى آخر قد يصل إلى آلاف الأميال. وهذه الساحرة الأولى صاحبة السؤال هي التي قررت أن تقتص من امرأة سمينة قذرة طلبت منها بعض كستناء فطردتها. فما كان من الساحرة إلا أن أبحرت إلى حلب لتحطيم سفينة زوجها. وحتى إبحارها إعجازي، فقد ذهبت إليه في منخل!

لا شك أن ساحرة قادرة على أشياء خارقة كهذه لا يمكن أن تلهث.

بالمناسبة تصف الساحرة تلك المرأة التي لم تعطها الكستناء بـ «Rump-Fed Ronyon» رُتُرجمت «الحيزبون المدللة»، إلا أن النص الإنكليزي لم يشر إلى عمر المرأة ولا إلى مكانتها العائلية. ربما يكون المعنى «السمينة القذرة». فسمينة توحي بفراغ أيامها، وكثرة ما تأكل بسبب الملل نتيجة غياب زوجها. تقرّ عنها الساحرة: (تمضغ وتمضغ وتمضغ).

لنعد الآن إلى البيتين الأولين:

«متى نلتقي نحن الثلاث

في رعود وبروق وأمطار كاللهاث»

هنا جمع المترجم أسماء الجنس الرعد والبرق والمطر، ثم ترجم أو (OR) بـ «واو العطف». ربما من الأفضل فصل الكلمات الثلاث، لأنها أوقات ثلاثة أي متى نلتقي في بدايتها أم أتّونها أم في نهايتها عند نزول المطر، أي الدم. لذا تجيب الساحرة (٢): حين تضع الحرب أوزارها.. أم الساحرة (٣) فتقول: قبل غروب الشمس، والزمن لدى شكسبير يصبح مكاناً في بعض الأحيان. بالإضافة إلى أن العدد (ثلاثة) المشؤوم يتردد دائماً في تضاعيف المسرحية. فالساحرات ثلاث، و«لهيكاته» الساحرة: ثلاثة أسماء، ولمكبث ثلاثة ألقاب، وقيل إن مكبث عندما قتل الملك، إنما اقترف ثلاث جرائم مرة واحدة: أولاً لأنه ضيفه، وثانياً لأنه ابن عمه، وثالثاً لأنه ملك.

يقول لزلي أ. فيدلر: «الرقم ٣ هو رقم التعويذة السحرية، لأن المرأة صُوِّرت من البداية على أنها ثالوث بالنسبة إلى الرجل: أولاً حبلت به، ثانياً احتضنته بالحب، وأخيراً كفنته عندما مات».

وما دمنا في ذكر الساحرات، فإنهن يقلن قولة شهيرة لاتزال محل جدل وتعليق بين النقاد وهي:

«Fair is Foul, and Foul is Fair» ترجمها الاستاذ جبرا:

«الجميل هو الدميم، والدميم هو الجميل على الدوام».

هنا أيضاً أضيفت عبارة: «على الدوام»، فأعطيت صفة الحقائق الثابتة في نص يتفق النقاد على أنه مهلل. فلغة الساحرات هنا ركيكة قصداً، وفيها خلل في القواعد اللغوية والقواعد المنطقية، أما التركيب العربي: «هو الدميم» و«هو الجميل» فكأنما أعطيا ثقلاً بلاغياً لا يتماشى وعبثية النص الانكليزي.

أما تفسير البيت، فهناك ثلاثة شروح في طبعة آردن التي اعتمد عليها المترجم، والجمال والدمامة هو واحد منها فقط. ما السبب في اختياره؟ خصوصاً وأن مسرحية مكبث والغة في الظلام والدم، والغة في الشر والفوضى، ولم ترد كلمة جمال في المسرحية إلا مرة واحدة موجهة إلى طفل، وفيها من الحنان أكثر مما فيها من الجمال.

يتفق معظم النقاد على أن المعني بالبيت ـــ أعلاه ـــ هو الطقس وهو رمز أيضاً لما يعتمل في صدر قائله. أو يعني كل متضادين مثل: المشمس مغيم والمغيم مشمس، أو الظفر خسارة والخسارة ظفر. وأقرب مثل في لغتنا، هو الآية الكريمة «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌ لكم» (سورة البقرة).

يقول أس.سي. سن غوبتا: «بما أن الطقس كان فعلاً رديئاً، فإن التناقض يجب أن يشير إلى اللغز الأخلاقي للحياة حيث الصالح والطالح امتزجا فلا ينفصلان. فمن الصعوبة معرفة ما هو الصالح وغير طالح وما هو الطالح وغير صالح. ومن الجدير بالذكر أن أول جملة ينطقها مكبث هي صدى لما قالته الساحرات «So Foul and Fair A day I Have not Seen».

لا يتحدث مكبث هنا عن الجمال، وهو أبعد ما يكون عنه، كجنرال عسكري لا يؤمن إلا بالقوة والبطش.

هذه بعض النماذج من الاجتهادات التي قد لا يتفق القراء فيها مع المترجم جبرا.

١ ـ عندما أعطى الملك، الإمارة إلى ابنه، حزّ ذلك في قلب مكبث الذي كان يتوقع أن يمنحها له لتكون درجة يتسلق منها إلى درجة أعلى، فقال:

«... تلك عتبة

عليّ أن أكبو عليها، أو أطفر فوقها

لأنها في طريقي».

أراد المترجم أن يقول عليّ إما أن أكبو، وإما أن... ولكن ربما لم يؤاته التعبير. المعنى الذي رمى إليه مكبث من جراء إعطاء الإمارة إلى ابن الملك، أن هذا المنصب يقف حائلاً بينه وبين طريق صعوده، وهو مثل درجة في سلم، فهو إما سيعثر بها، أو ينطلق منها إلى درجة أخرى.

٢ ـ أعلن الملك عن نيته زيارة قلعة مكبث وزوجته، فقرر مكبث أن يكون هو الرسول لإبلاغ زوجته هذا النبأ فقال:

«... أما البقية فجهد، لا عليكم به

سأكون أنا الرسول».

أضاف المترجم هنا «لا عليكم به»، ويبدو أنها في غير محلها، لأن مكبث كان يخاطب الملك وحاشيته، وما من أحد سيقوم بهذه المهمة. أما «البقية جهد» كترجمة لـ «THE REST IS LABOUR» فليست هناك بقية، وإنما «REST» تعني راحة. والمعنى العام هو: كل خدمة عبء إلا التي تقدم إليكم. وهناك تفسير آخر يقول: «إنه لممل أن نكون عاطلين عندما نعرف أننا يجب أن نقوم بشيء لخدمتكم».

٣ ـ عندما رأى مكبث خنجراً يسير أمامه أراد أن يمسكه فلم يستطع، وهنا بدأ شكه في حواسه. فقال:

«أمست عيناي أضحوكة حواسي الأخرى

وهما لولا ذلك في قدرهما جميعاً».

كيف يكون البصر بقدر كل الحواس؟ المعنى أن ما رآه بأُمِّ عينيه حقيقة، وما لم يستطع لمسه، حقيقة أيضاً، فأيهما الزائف؟ أو كما يقول لوت: «عيناي أما تخدعان الحواس الأخرى، أو أنهما أكثر منها جدارة بالثقة. يجب أن يثق أما بعينيه اللتين تخبرانه الحقيقة، أو أن يثق ببقية حواسه (أي ليس هناك من خنجر لأنه لا يستطيع أن يلمسه)».

أما هنتر فيقول: «إما أن الخنجر ليس له وجود، وفي هذه الحالة تكون رؤيته باطلة، أو أن رؤيته أعلى من التجربة الاعتيادية للحواس».

٤ ـ كان مكبث يمنّي نفسه أن يكون ملكاً، بناء على ما تنبأت به الساحرات الثلاث وما دام الأمر كذلك فإنه سيتوّج فيما بعد حتى من دون سعي منه. ثم يقول:

«... مهما حدث

فإن أعسر الأيام يخرقها الزمن والساعة».

هذه جملة غامضة، ربما لأنها حرفية، لم تتعمق في ما رمى إليه شكسبير.

المعنى عموماً:

«ستأتي الفرصة

مهما كانت الأيام عسيرة في مرورها».

٥ ـ يتصور مكبث أنه في طريقه إلى قتل الملك، فيطلب من الأرض الراسخة أن تخفي صوت خطاه، حتى لا تعرف وجهته، لأنه يخشى أن تشي الحجارة بحركته. يقول مكبث:

«... أيتها الأرض الصلبة الثابتة

لا تسمعي خطاي، وفي أي اتجاه أسير، لئلا تفصح الحجارة نفسها عن مكاني

فتتال من هول الساعة

والهول يلائمها».

هذه ـ كما يبدو ـ ترجمة عويصة وغامضة في آن واحد، لا يظهر فيها المعنى لا من قريب ولا من بعيد. ما معنى: «فتتال من هول الساعة/ والهول يلائمها»؟

المعنى العام لهذه الأبيات كما يقول لوت: «(خشية أن تفصل الحجارة) هول اللحظة (القتل) من الوضع الحالي (الزمن) الذي هو مناسب الآن للقيام به». أي أن هذه الفرصة مؤاتية وقد لا أجد فرصة أخرى مثيلة لها لعملية القتل.

٦ ـ في المشهد الثالث من الفصل الأخير، يدخل مكبث، وعلى رغم خوفه، واثقاً من أن أحداً لن يستطيع قتله إلا إذا تحركت غابة بيرنام، بالإضافة إلى ذلك فما من أحد ولدته امرأة يستطيع كذلك قتله حسب نبوءة الساحرات. يقول مكبث:

«.. الأرواح التي تعرف

عقابيل البشر كلها قالت لي».

إذا لم يكن هناك خطأ مطبعي، فلا أحد يعلم كيف دخلت هذه «العقابيل» وهي الدواهي لغة. والمعروف أن معنى هذين البيتين: إن الأرواح التي تعرف ما يحدث للبشر في المستقبل قالت لي.

وفي هذا المقطع يتجهّم مكبث بوجه خادمه المرتعب صائحاً:

«... سخطك الشيطان عبداً أسود يا وغداً حليبي الوجه من أين لك سحنة الأوزة هذه»؟

أضاف المترجم هنا عبداً، وترجم ـ CREAM - FACED حرفياً. ولكن ما سحنة الأوزة هذه؟ المقصود:

مسخك الشيطان أسود يا وغداً أبيّض وجهه من الخوف.

من أين جئت بقشعريرة الجلد هذه؟

وعلـى هـذا المنوال يخاطب مكبث خادمه، محتقراً إياه فيصفه بـ (LILY-LIVER'D) وهي لا تعدو أن تكون يا صبياً رعديداً، إلا أن المترجم نقلها حرفياً فقال «يا ولداً زنبقي الكبد».

ويقول له أيضاً WHEY-FACE، أي يا وجهاً بلون مصل اللبن، إلا أن المترجم نقلها حرفياً فقال «يا وجهاً من لبن».

إن هذه الترجمة الحرفية أضرّت بالمصطلحات الإنكليزية وضيعت الألوان التي قصدها شكسبير وكيف تتغير في الخوف، في الحوار أعلاه.

* * *

من المصطلحات الشكسبيرية التي ترد مرات عدة في مسرحية مكبث مصطلح NATURE الذي يُترجم في النص العربي (طبيعة). وحيثما وردت طبيعة يغمض المعنى ويرتبك.

يتفق دارسو شكسبير على أن NATURE تعني عند شكسبير الحياة: LIFE. مثلاً، عندما سأل مكبث، إن كان بانكو قد تم قتله، أجاب القاتل بتهكم، بأنه فعل ذلك قائلاً:

«نعم مولاي الكريم، سليم في خندق

وفي رأسه حفرت عشرون طعنة

أصغرها موت للطبيعة».

أية طبيعة يعني المترجم؟ ربما الأصوب أن نقول: ... عشرون طعنة/ أصغرها كافية لقتل أي شيء حي».

هذا مثل آخر. كان أحد القتلة يروي للملك دنكن عن سير المعركة، فأخبره بأنها لا تزال سجالاً، وهي مثل سباحين منهكين يتشبثان ببعضهما، فيعرقل أحدهما مسيرة الآخر. إلا أن العدو ماكدونالد الذي التمت فيه ــ كالحشرات والديدان ــ جرائم مريعة هي من طبعه. فجاءه مدد من مشاة

أيرلنديين بأسلحة خفيفة وتابعين بأسلحة ثقيلة:

جاءت الترجمة بالصورة الآتية:

«لقد ظلت بين بين
كسباحين منهكين، يتشبث كلاهما بالآخر
فيخنقان فنهما. والجائر مكدونالد
(وما أجدره بالتمرد. إذ لتلك الغاية
راحت نزالات الطبيعة المتكاثرة
تنغل عليه) من جزء الغرب يأتيه
مدد من المشاة والخيالة...».

فضّل المترجم هنا المعنى يخنق CHOKE على يعطل وقد تكون أقرب إلى السياق العام للنص، خصوصاً أن الملك كان يسأل عن سير المعركة: بالإضافة إلى أن مسرحية «مكبث» تتميز بسرعة الحوادث، وقصر الأسئلة. ولكن ما معنى: «راحت نزالات الطبيعة المتكاثرة/ تنغلّ عليه؟».

أولاً إن الفعل انغلّ بمعنى: دخل في الشيء، مما لا ينسجم مع ما قبلها. إضافة إلى ذلك فإنّ الفعل انغلّ لا يتعدى بـ (على).

يقول الشارح (لوت): «إن الأعداد الغفيرة من الأفعال الشنيعة في طبع مكدونالد التمت عليه». أما كلمتا MULTIPLYING وSWARM فتوحيان بغيمة من الحشرات المخيفة وهي تستقر في مكان واحد.

يبدو أن شكسبير كان يطابق بين حشود الخسة في داخل مكدونالد، وحشود جنود الامدادات المتراكمة كالحشرات والديدان. إن تناظراً كهذا بين ما يعتمل في داخل الانسان وما يجري في الخارج، خاصية شكسبيرية فريدة في غناها وعمقها وتأثيرها.

في مناسبة أخرى، تظهر على مكبث علامات الارتباك. تنصحه زوجته، بالنوم، لأنه صائن أو حافظ لكل حياة، إلا أن الترجمة العربية جاءت كالآتي:

«بك حاجة للنوم ملح كل طبيعة».

إجتهد المترجم في كلمة (ملح) وهو اجتهاد مصيب كما في بعض الشروح الانكليزية، لأنه مادة حافظة للمأكولات إلا أن «كل طبيعة» جعلت الصورة غامضة ووسعت من المسافة القصيرة بين المريض نفسياً (مكبث) وبين طبيبه (الليدي مكبث).

وأخيراً، حين تضع الليدي مكبث مخدراً في شراب حارسي الملك تمهيداً لقتله، تقول:

«حتى ليتنازع الموت والطبيعة حولهما

أفي عداد الأحياء هما أم الأموات؟»

إلا أن الشارح يقول: «إن الموت والحياة (NATURE) تجادلان في ما إذا كان سيعيشان أم سيموتان».

إن نقل الأفعال سيعيشان أم سيموتان إلى أسماء: أحياء أم أموات، أضر بما توحيه الصورة من قلق وحيرة، ذلك أنك باختبار بسيط تستطيع أن تحقق هل هما ميتان أم حيان، بعكس الفعل: يعيشان، يموتان، كما جاء في النص الإنكليزي، يؤزمان الموقف أكثر.

ومن المصطلحات التي ترد عشرات المرات في مسرحية مكبث مصطلح (TIME) الذي يجتهد المترجم (جبرا) في ترجمته إلى (الزمان)، ومن جراء ذلك، كثيراً ما يصيب الترجمة، الغموض والتشوش، لأن (TIME) في نظر كل الدارسين والمحررين، يعني من بين مايعني: (العالم) أو (الناس). مثلاً عندما يخبر مكبث زوجته عن قدوم الملك لزيارتهما، تسأله الليدي مكبث عن وقت مغادرته، فيخبرها غداً، عندئذ تقول:

«لا لن ترى شمس ذلك الغد

وجهك يا حبيبي كتاب، للناس

أن يقرأوا فيه أموراً غريبة، لكيما تخادع الزمان

اجعل محياك في شبه الزمان».

هذا هو نص الترجمة العربية. لكن ما هو الزمان حتى يخادعه مكبث؟ وكيف يجعل محياه في شبه الزمان؟

يقول هنتر، أحد شارحي «مكبث»: «حتى تخدع الناس، فأظهر بالمظهر الذي يتوقع أن يراك الناس فيه. ويقول لوت في تفسير TIME: «إذا أردت أن تخدع العالم (العالم الحاضر) فابدُ كما يبدو عليه العالم. تصرف بالطريقة الاعتيادية وما من أحد سيلاحظك» أي ما من أحد سيشك بما تضمر.

أما محقق طبعة آردن التي اعتمد عليها المترجم فيقول: «إخدع العالم، ضلل كل المراقبين». ويضيف الشارح أيضاً: (TIME) يعني العصر الحاضر، أناساً وأشياء عموماً».

وهذا مثل آخر، عندما كان مكبث وزوجته يخططان لقتل الملك، وكأنهما يستظهران دوراً في مسرحية، قبل الظهور على خشبة المسرح، وضّح مكبث أنه مصمم تماماً على القيام بالجريمة، وطلب من زوجته أن يذهبا بعيداً، كما طلب منها أن تخدع الناس ـ في هذه الأثناء ـ بوجه سعيد.

جاءت الترجمة بالصورة الآتية:

«لقد صممت، ولسوف أشد

كل عضو في الجسد لهذه الفعلة الرهيبة

هيا واخدعي الزمان بأجمل المظاهر...».

أولاً الشدّ هنا وكأنه شدّ وتر القوس، فالجسد متوتر، لم يبق فيه منزع لإطلاق نشابه أو سهمه. أما ترجمة AWAY بـ «هيا» فيضر بالتوقيت، وكأن مكبث وزوجته سيذهبان فوراً لتنفيذ عملية القتل، وما الأمر كذلك. بالإضافة إلى أن تعبير «إخدعي الزمان» لا يعني سوى العالم أو الناس.

* * *

من الأمور التي ـ كما يبدو ـ فاتت المترجم أو اجتهد فيها اجتهاداً مختلفاً، كلمة PITY، وكيف أن شكسبير والبلاغيين في عصره، اعتقدوا

أن الألفاظ المجردة، أو المعنوية، لهاما للبشر من صفات مجسمة محسوسة. يسمى التجسيد هذا بالإنكليزية PERSONIFICATION أي الشخصنة، وهو إعطاء الصفات البشرية للنبات والحيوان والجماد، وحتى الأفكار المجردة، وهذا ما تفرّد به شكسبير أكثر، أو بلغ فيه مبلغاً لم يطله غيره من قبل.

مثلاً، في المناجاة التالية يصوّر شكسبير محكمة أخلاقية وعاطفية، حيث يكون فيها مكبث الحاكم والمدعي العام في آن واحد، وكذلك الشاهد والمحكوم. إنها قيامة صغيرة عقابها ـ وما من ثواب ـ فوري على الأرض.

تصور مكبث إن هو أقدم على قتل الملك، فإن فضائله سترافع عنه كالملائكة، وإن (الرحمة ـ PITY) مثل طفل عار ولد حديثاً، ستمتطي الزوبعة، وإن رياح الاحتجاج، ستهب على كل عين، وتغرق الريح بالدموع.

ثم صور شكسبير نية مكبث كالحصان، وطموحه مثل راكب، من فرط حيويته وحماسته قفز عالياً على سرج حصانه فسقط على الجانب الثاني.

إلا أن الترجمة جاءت كالآتي:

«بحيث أن فضائله
سترافع كملائكة ملسنة بالأبواق
ضد الفظاعة اللعينة في مصرعه
والشفقة كطفل وليد عارٍ
يمتطي الزوبعة، أو كملائكة السماء خيلها
رواكض الفضاء الخفية.
ستنتفخ الفعلة الشنيعة في كل عين
حتى تغرق الريح بالدموع، لا حافز لي
يهمز جانبي مأربي سوى
طموح شاهق القفز، يبالغ بقفزته
فيهوى على الجانب الآخر».

هكذا جعل المترجم الطفل الوليد العاري هو الذي يمتطي الزوبعة لا الشفقة (كذا)

ولكن لنحلل الترجمة أولاً:

«... بحيث أن فضائله

سترافع كملائكة ملسنة بالأبواق».

هل هي ملسنة بالأبواق ؟ وما معنى ملسنة؟

يقول برنارد لوت في شرحه: «بألسنة عالية كالأبواق».

ويقول ميور الذي اعتمد عليه المترجم: «تعني TRUMPET-TONGUED: أما استعمال الأبواق في الكلام أو، وهو الأكثر احتمالاً، بأصوات واضحة ونافذة وموسيقية مثل الأبواق». ويعتقد ولسون: «أنها تشير إلى يوم القيامة».

قد يكون هذا التفسير أقرب إلى المنطق وإلى قيامة مكبث الصغيرة. ومما يذكر أن أم سي برادفورد ذكر أن صورة يوم القيامة التي كانت مرسومة على قوس المذبح في الكنيسة المجاورة لبيت شكسبير في ستراتفورد، صورت الملائكة في هذا المشهد بأبواق مرفوعة تدعو الأموات إلى القيامة. أما القسم الآخر من الترجمة:

«والشفقة كطفل وليد عارٍ

يمتطي الزوبعة، أو كملائكة السماء خيلها

رواكض الفضاء الخفية...»

لا أدري لماذا ترجمت كلمة PITY بالشفقة بدلاً من الرحمة خصوصاً أنها مصطلح ديني في التوراة والإنجيل والقرآن.

ثم جعل المترجم ـ كما ذكرنا ـ الطفل الوليد العاري، هو الذي يمتطي الزوبعة، على خلاف كل شارحي مكبث الذين يتفقون على أن الرحمة ـ لا الطفل ـ هي التي تمتطي الزوبعة.

يقول برادفورد: «إنها الرحمة مثل مولود حديثاً يصاحب ملائكة

السماء، تمتطي الزوبعة.. وهذه صورة المسيح عندما يدخل العالم لايجاد شفاء».

يقول جي. كي. هنتر عن الرحمة إنها: «ستمتطي الرياح وتنفخ الفعلة الشنيعة في كل عين كالتراب».

أما عن تجسيم المجرد، فيقول وولغانغ كليمن عن تصوير الرحمة كشخص: «... إلى أي مدى انتقل شكسبير من النوع التقليدي للشخصنة، وكيف مالت صوره الشعرية إلى الغريب والفريد منها. ومن الواضح الآن أيضاً أن هذه التجريدات وضعت في فضاء واسع، ونقلت إلى عالم غير متناهٍ من الغيوم والرياح».

يبدو أن شكسبير استقى هذه الصورة الشعرية من المزمور الثامن عشر: «طأطأ السماوات ونزل وضباب تحت رجليه. ركب على كروب وطار وهف على أجنحة الرياح». والركوب CHIRUBINS مأخوذة من الكلمة العبرية CHERUBINS وحتى نقرب صورة الرحمة كشيء مجسد، ولها صفات بشرية، نذكر أن هناك ثلاث آيات في القرآن الكريم، يأتي فيها ذكر الرحمة ولها يدان:

١ ـ وهو الذي يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته (سورة الأعراف).

٢ ـ وهو الذي أرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته (سورة الفرقان).

٣ ـ ومن يرسل الرياح نشراً بين يدي رحمته (سورة النحل).

يعلق ضياء الدين بن الأثير الجزري على قوله تعالى: «وأدخلناه في رحمتنا»، بأن هذا مجاز عدل فيه «لمعانٍ ثلاثة وهي الاتساع والتشبيه والتوكيد. وأما الاتساع فهو أنه زاد في أسماء الجهات والمحال إسماً هو الرحمة، وأما التشبيه فإنه شبه الرحمة، وإن لم يصح دخولها، بما يجوز دخوله، وأما التأكيد فإنه أخبر عما لا يدرك بالحاسة، وذلك تغالٍ بالمخبر عنه وتفخيم له إذا صيّر إلى منزلة ما يشاهد ويعاين. ألا ترى إلى قول بعضهم في الترغيب بالجميل «لو رأيتم المعروف لرأيتموه حسناً جميلاً» وذلك بأن يخيل متجسماً، لا عرضاً متوهجاً».

قال علي بن أبي طالب: «لو كان الفقر رجلاً لقتلته»، ولكن الفقر بالنسبة إلى البلاغيين الإنكليز، هو مثل الرحمة والعدالة والمصلحة الذاتية والأنانية والعدالة والظلم وكل الأسماء المعنوية المجردة، لها ما للبشر من صفات، فهي ترى وتسمع وتلمس. بينما البلاغيون العرب يؤولون شخصنة الجماد، فإذا فسّروا الآية: «واسأل القرية» قالوا أي أهل القرية، ولكن ماذا لو كانت القرية مهجورة أو مطمورة أو مضروبة بالقنابل الكيماوية وليس فيها أحد؟ ألا تستطيع الأشلاء الميتة، أو الحجارة المدماة أن تخبر عما جرى؟

* * *

يتّفق النقاد على أن موطن القوة والتأثير في شعر شكسبير، يكمن بالدرجة الأولى في الاستعارات والكنايات والتشابيه. على هذا فكل ترجمة لا تلتفت إلى ذلك، فلا بد أن تُعتبر مبتسرة، وكأنها فواكه مجففة، فيها الشكل ولكنها خالية من الروح. لا بدّ أن المترجم عارف بهذه الحقيقة، ولكن لماذا أهملها؟ هذه بعض الأمثلة.

١ ـ كانت الليدي مكبث تحرّض مكبث على قتل الملك، مهونة عليه الأمر ومزينة له الفعلة. وكأن مكبث بين يديها ممثل صغير، وهي المخرج الذي يلقنه ويدفعه إلى مسرح الأحداث. لكن مكبث ما زال متردداً فيقول لها «وإذا أخفقنا؟» فتجيبه الليدي مكبث:

«نحن نخفق؟!

فقط شدّ شجاعتك حتى نقطة ثباتها،

ولن نخفق».

وضع المترجم بعد كلمة «نخفق» علامتي استفهام وتعجب في آن، على الرغم من أن طبعة آردن التي اعتمد عليها المترجم فضلت علامة الاستفهام فقط.

فالاستفهام يعني هنا استفهاماً استنكارياً، أما التعجب فيعني: إمّا: كيف نخفق وقد أعددنا كل شيء بحرص وحذر، وإمّا: فليكن

ما يكون إذا أخفقنا. من نافلة القول، أن التنقيط في اللغة الإنكليزية يعادل التشكيل في اللغة العربية تقريباً.

ولكن ما معنى: «فقط شدّ شجاعتك حتى نقطة ثباتها/ ولن نخفق»؟ أين نقطة الثبات هذه، حتى تشد عليها الشجاعة؟

في هذه الصورة الشعرية، تطلب الليدي مكبث من مكبث أن يكون إما آلة موسيقية وترية، فيضبط أوتارها بالمفاتيح أو الملاوي، أو يكون كالقوس الذي لم يبق فيه منزع.

٢ ـ في المقطع الآتي يصوّر مكبث كيف أنه طمس إلى ركبتيه في الدم. فهو الآن في وسط النهر، عودته صعبة، صعوبة عبوره إلى الضفة الأخرى.

وبما أن فكره انشل تماماً في هذه المرحلة من المسرحية، فلا بدّ له من معرفة الأسوأ بأسوأ الوسائل، إذ لم يعد هناك أي اعتبار في نظره لأي شيء. أفكاره الشريرة في رأسه يجب أن تترجم إلى عمل تنفذه اليد. بكلمات أخرى، لا بد له من الفعل قبل التفكير. لننظر الآن كيف ترجم هذا المقطع:

«سأذهب غداً

(ومبكراً سأذهب) إلى أخوات القدر

لسوف أستنطقهن المزيد. فقد عزمت الآن

معرفة أسوأ الأمور بأسوأ الوسائل. ولصالحي

يعنو كل سبب. لقد خطوت في الدم

بعيداً فحتى لو لم أخض المزيد

لكان النكوص مرهقاً كما المضي.

في رأسي أمور غريبة ستنتقل إلى يدي

لا بدّ من فعلها قبل أن ينظر فيها أحد».

قد لا يشعر القارىء ـ إذا اعتمد على الترجمة العربية فقط ـ

بوجود نهر غير منظور من الدم، وهذا ما عناه شكسبير، خصوصاً أن النهر هنا يرمز إلى الزمن الذي يتصارع معه مكبث منذ التقائه بالساحرات الثلاث.

أما تعبير (ولصالحي/ يعنو كل سبب) فقد لا يكون واضحاً للقارىء. فالمعنى هو: من أجل مصلحتي الذاتية/ سأضرب بعرض الحائط كل اعتبار. أي أن مصلحتي تأتي بالدرجة الأولى، وما عداها في الدرجة الثانية.

أما السطر الأخير: «لا بدّ من فعلها قبل أن ينظر فيها أحد» فاجتهاد غير مقنع كما يبدو، أولاً لأن مكبث قرر قبل أسطر أن مصلحته فوق كل اعتبار، وما هم بعد ذلك إن نظر فيها أحد أم لا، ثانياً لأن مكبث قرر أن يترجم الفكرة إلى فعل، أي لا يهاب النتيجة. إن البيت الأخير استعارة من المسرح ويعني أنْ ليس هناك من وقت لاستظهار الدور، لا بد من التمثيل فوراً. وعلى هذا يمكن ترجمته «لا بد من القائها قبل استظهارها» أي لا بد من تنفيذها قبل التفكير فيها. باختصار: ارتجالاً.

على أية حال، لقد أُضيفتْ لهذه الترجمة، بعض الشروح، حاولتُ ـ على قدر قابليتي المتواضعة ـ ألاّ أكون مفسّراً للكلمات، ولا للمعاني التي يرمي إليها شكسبير، بقدر ما اجتهدتُ في كثير من الأحيان، إلى رصد التقنيات التي تميزت بها هذه المسرحية. بكلمات أخرى بذلت ما بالوسع لاكتشاف سرّ صناعة شكسبير في رسم صوره الشعرية، وكيف ينتقل مثلاً من حاسة إلى حاسة، ومن لون إلى لون ومن صمت مصم إلى ضوضاء فارغة، وهكذا دواليك...

صلاح نيازي

٩٩/٥/٢٨

لندن

# شخصيات المسرحية

| | |
|---|---|
| DUNKCAN, king of Scotland | دنكن: ملك اسكتلندا |
| MALCOLM / DONALBAIN — his sons | مالكولم / دونالبين } أبنا الملك |

مكبث أمير غلامس، ومن ثم أمير كودر، وأخيراً ملك اسكتلندا

MACBETH, Thane of Glams, later of Cawdor, later King of Scotland

| | |
|---|---|
| BANQUO | بانكو، قائد في جيش الملك |
| MACDUFF | مكدف |
| LENNOX | لينوكس |
| ROSS | روس — نبلاء اسكتلنديون |
| MENTETH | منتث |
| ANGUS | أنغوس |
| CATHNESS | كاتنس |
| FLAFANCE, Banquo's son | فليفنس، ابن بانكو |

سيوارد، ايرل نورثمبرلند وقائد القوات الإنجليزية

SEYWARD, Earl of Northumberland

| | |
|---|---|
| Young SEYWARD, his son | سيوارد، الصبي، ابنه |

| | |
|---|---|
| SEYTON, Macbeth's armour-beater | سيتون حامل درع مكبث |
| SON of Macduff | صبي، ابن مكدف |
| An English Doctor | طبيب انجليزي |
| A Scottish Doctor | طبيب اسكتلندي |
| A Porter | بواب |
| An Old Man | رجل مسن |
| Lady Macbeth | الليدي مكبث |
| wife of Macduff | الليدي مكدف |
| Gentlewoman attendant on Lady Macbeth | وصيفة الليدي مكبث |
| Three other Withches | الساحرات الثلاث |

# الفصل الأوّل

## المشهد الأوّل ـ في العراء
## رعد وبرق. تدخل الساحرات الثلاث[1]

ساحرة ١: متى نلتقي نحن الثلاث،
في الرعد، أم في البرق، أم في المطر؟
ساحرة ٢: حين تضع الحرب أوزارها،
حين تُربح المعركة وتخُسر.

(١) يعتقد بعض الشكسبيرين، أنَّ مشهد الساحرات مقحمٌ هنا، ألاّ أنه في نظر غيرهم ـ وهم الغالبية، جزء تمهيدي أساس في المسرحية، أو كما يقول كولردج: «إن السبب الحقيقي لظهور «الأخوات الساحرات الثلاث» في البداية هو لتثبيت الفكرة الأساسية في المسرحية». أكثر من ذلك فإن الرقم ثلاثة والرقم اثنان لهما دلالات ثقافية ونفسيّة في مجمل المسرحية.
الفائدة ـ كما يبدو ـ من هذا المشهد هي التشكيك بقناعات المشاهدين الذين تواطنو على مفهومات معينة للخير والشرّ أولاً، والتشكيك بقدرة الحواس على التمييز ثانياً. فالقناعة السائدة مثلاً أن المعركة أما تُربح أو تُخسر، في نظر أيّ من الطرفين المتحاربين، بينما تقول الساحرة (٢): «حين تُربح المعركة وتُخسر»، وكأنّما الربح خسارة، والعكس صحيح. وبما أن هذه العبارة وردت على لسان إحدى الساحرات اللواتي لهنَّ القدرة على قراءة المستقبل، فإنَّ لها قدرة إضافية على التأثير.

ساحرة ٣: سيكون ذلك قبل غروب الشمس.

ساحرة ١: وفي أي مكان؟

ساحرة ٢: في المرجة.

ساحرة ٣: هناك لنلتقي بمكبث.

ساحرة ١: آتية لك، أيتها القطة الرمادية!

الثلاث معاً: الضفدع ينادي ـ سنأتي حالاً! ـ
الصاحي غائم، والغائم صاحٍ[٢]:
لِنحُمْ خلال الضباب والهواء الموبوء.

(٢) فضلنا هذا المعنى على غيره، لأن الوصف يتركز هنا في جوّ المعركة غباراً ودخاناً ودماءً ومطراً، ولأن مكبث لاحقاً (الفصل الثاني ـ المشهد الثالث) يقول: «لم أرَ يوماً صاحياً ومغيماً كهذا اليوم».

**المشهد الثاني ـ معسكر قرب فورس.**

**بوق ترحيبي من الداخل. يدخل الملك دنكن، ومالكولم، دونالبين ولينوكس، مع مرافقين، يصادفون ضابطاً ينزف.**

دنكن : أيُّ رجلٍ نازفٍ ذاك؟ يستطيع أن يخبرنا،
كما يبدو من حالته السيئة، عن آخر
ما يدور في المعركة.

مالكولم: هذا هو الضابط
الذي كأيِّ جندي جرىء، قاوم
الوقوع في الأسر. ـ مرحباً، أيّها الصديق الباسل!
قلْ للملك عمّا تعرفه عن المعركة،
حينما تركتَها.

الضابط: سجالاً كانت تدور؛
مثل سبّاحيْن منهكيْن، يشتبكان بالتحام
فيخنقان فنّهما في السباحة، إن مكدونالد العديم الرحمة
(و لا يُرجىٰ منه إلا التمرد الذي بسببه
التمّتْ عليه حشود غفيرة
من العناصر الخبيثة)[٣] أُمِدَّبنجدات من
المشاة الإيرلنديين، ومن الأتباع في الجزر الغربية باسكتلنده؛
وربة الحظ وهي مبتسمة لقتاله اللعين

(٣) إن الكلمات: التمّتْ، وحشود، وعناصر خبيثة، توحي بحشرات تتكوم على شيء.

بدت كأنها مومس[٤] برفقة متمرد: لكن محاولاته
ضعيفة جداً؛
لأن مكبث الشجاع (وهو جدير بهذه الصفة)،
احتقر ربة الحظ، بسيفه المسلول
الذي ما زال فيه بخار الدم من فرط ما قتل،
ومثل الحبيب المفضل للبسالة، شقَّ طريقه،
إلى أن واجه الرجل الخبيث (مكدونالد)
ولم يصافحه، ولم يودعه
إلى أن فتقه من السرّة إلى الذقن،
وعلّق رأسه على حائط القلعة.

دنكن : يا لابن عمّي، الشجاع! يا رجلاً معتبراً!

الضابط: من حيث عادت الشمس إلى اعتدالها الربيعي[٥]،
ثارت العواصف المحطمة للسفن، والرعود الفظيعة
هكذا من ذلك الموقع الذي يبدو أن النجدة قادمة منه،
فاض الخطر. أنظرْ يا ملك اسكتلندا، أنظرْ:
ما أن أَجبرت القواتُ الاسكتلندية المسلحة بالبسالة
المشاة الأيرلنديين على الاعتماد على سيقانهم هرباً
حتى شرع الملك النرويجي، بعد أن شعر بوجود فرصة،
مع أسلحة مصقولة وتعزيزات جديدة من المقاتلين،
بهجوم جديد.

---

(٤) شبّه شكسبير ربّة الحظ بمومس لأنها وأن ابتسمت فإنها لا تحبّ.

(٥) يشير الضابط إلى أنه ما أن بدأت تباشير النصر وقد رمز إليه بالشمس والربيع حتى هبّت جيوش الملك النرويجي.

دنكن : ألمْ ينفزع.
ضابطانا، مكبث وبانكو؟
الضابط: أي نعم؛
كما تُفزِع العصافيرُ الصقور، أو تُفزع الأرنبُ الأسدَ
إذا قلت الصدق، فعليّ أن أقول إنهما كانا
مثل مدفعيْن حُشيا بمتفجرات أكثر قوة
لذا فهما قد كالا، الصاع صاعين للعدوّ
هل كانا ينويان الاستحمام بدماء الأعداء الشاحبة،
أم أنهما يُحييان ذكرى «جلجلة»[٦] أخرى،
لا أدري
أكاد يُغشى عليّ، جراحي تستنجدكم.
دنكن: كلماتك تليق بك تماماً كجراحك
في كليهما أثر للشرف. ـ اذهبوا واطلبوا مَنْ يطبّبه.
**[يخرج الضابط مع مُداريه**

## يدخل روس وأنغوس

مَنِ القادم إلى هنا؟
مالكولم: السيد الأمير رُوسْ.
لينوكس: يا للجزع الذي يبدو في عينيه! كذا

(٦) جلجلة: كلمة عبرية تعني: جماجم. وهو الموقع المسمّى الجمجمة الذي صلب فيه المسيح.

يجب أن يظهر مَنْ سيقول أشياء غريبة.

روس: الله ينصر الملك!

دنكن: من أين جئت أيّها الأمير المحترم؟

روس: من «فايف»، أيّها الملك العظيم،

حيث الرايات النرويجية تسخر من السماء،

وتهوّي فيجمد قومنا خوفاً. ملك النرويج نفسه،

شرع يقاتل بضراوة

بأعداد هائلة من المحاربين، يسندهم،

أمير «كودر» أعظم الخونة،

إلى أن قابله عريس ربة الحرب، متسربلاً بدروع مأمونة،

وهو ندٌّ له،

سيف لسيف، وسلاح ثائر لسلاح ثائر

مقارعاً تصرّفه المهين: وفي الختام

آل إلينا النصر.

دنكن: يا لَلْيمن العظيم!

روس: لذا الآن

يتحرق «سوينو»، ملك النرويج لشروط السلام؛

ولم نسمح له بدفن رجاله

إلى أن دفع بجزيرة «سانت كولم»

عشرة آلاف دولار لنا جميعاً

دنكن: لن يغش أمير «كودر» بعد اليوم،

أعزَّ مصالحنا[7] الحميمة. ـ إذهب وأعلن أنه سيُقتل فوراً،
وبلقبه السابق، خاطبْ مكبث.

روس: سأفعل ما يلزم.

دنكن: ما خسره أمير كودر ربحه مكبث النبيل.

**[يخرج**

(٧) من المعروف إن الملك يشير إلى نفسه حينما يقول: «نحن». وهنا يعني مصالحه الشخصية.

## المشهد الثالث. ـ [مرجة]

## رعد، تدخل الساحرات الثلاث

ساحرة ١: أين كنتِ، يا أختاه؟

ساحرة ٢: أقتل خنازير.

ساحرة ٣: يا أختاه، وأنتِ؟

ساحرة ١: زوجة بحّار وفي حضنها كستناء
وتمضغ، وتمضغ، وتمضغ: أعطيني
قلت لها: ـ
«أغربي عني يا ساحرة!» عاطت المرأة السمينة القذرة.
ذهب زوجها ربّان سفينة النمر إلى حلب:
لكن سأُبحر إليه بمنخل،
وكفأرة بلا ذنب[٨]،
سأقرض، وأقرض، وأقرض،

ساحرة ٢: سأعطيك ريحاً.

ساحرة ١: أنتِ طيبة.

ساحرة ٣: وأنا نفسي أعطيك أخرى

ساحرة ١: وأنا لديَّ كل الرياح الأخرى؛
وكلّ الموانىء التي تهبُّ منها،
وكل البقاع التي تعرفها

---

(٨) تستطيع الساحرات أن يحولن أنفسهنّ إلى حيوانات، ولكن ما من عضوٍ في أجسامهنّ، يمكن أن يصبح ذَنَباً.

في مؤشر بوصلة الملاّح،
سأجعله جافاً كالقش:
ولن يعلق النوم بسقف جفنه،
لا ليلاً ولا نهاراً
سيعيش إنساناً لعيناً.
كليلاً، لسبعة أسابيع مضروبة بتسع مرات تسعة.
ستيقلص، ويهزل، وينحل:
وسفينته ولو أنها لن يفقدها،
إلاّ أنها ستنقلب بأيدي الريح.
أنظرا ما عندي.

ساحرة ٢: أريني، أريني.
ساحرة ١: عندي إبهام ملاّح،
تحطّمت سفينته أثناء عودته.

**[طبل من الخارج**

ساحرة ٣: طبل! طبل!
عاد مكبث.
جميع الساحرات: أخوات القدر، يداً بيد،
جوابات البحر والبرّ
دُرْنَ هكذا، درن:
ثلاث مرات لجهتك، ثلاث مرات لجهتي
وثلاث مرات ثانية ليكون المجموع تسعة
كفى. الرقية كملتْ.

**يدخل مكبث وبانكو**

مكبث : لم أرَ يوماً غائماً وصاحياً كهذا اليوم،

بانكو : ما المسافة إلى «فورس»؟ ـ ما هؤلاء
ذاويات وهزيلات تماماً بلباسهنَّ
لا يشبهنَّ سكان الأرض.
ومع ذلك فهنَّ عليها؟ أأنتن بشر؟ أم أنكنَّ
أي شيء، يمكن للإنسان أن يسأله؟
يظهر أنكن تفهمنني
أصابعكنَّ الخشنة المشققة
على شفاهكنَّ المهزولة: فلا بدَّ أنكن نساء
لكن تمنعني لحاكنَّ من أن أستنتج
أنكن كذلك.

مكبث : تكلمْنَ، إن قدرتنَّ: ـ ما أنتنَّ؟

ساحرة ١: سلاماً مكبث! هنيئاً لك، يا أمير «غلامس»!

ساحرة ٢: سلاماً مكبث! هنيئاً لك يا أمير «كودر»!

ساحرة ٣: سلاماً مكبث! ستكون ملكاً فيما بعد.

بانكو : لماذا يا سيدي الكريم تجفل، وتبدو خائفاً
من أشياء مقبولة؟ باسم الحقيقة
هل أنتنَّ من دنيا الخيال، أم أنتنَّ في الحق
كما تظهرن عليه؟ حييتنَّ زميلي الشهم
بلقب يحمله الآن، وتنبأتنَّ له بحظّ رفيع

مع أمل في الملوكيّة،
يبدو أنه غارق فيما سمع. لن تكلمنني.
إذا قدرتنَّ على معرفة بذور ما تؤول إليه الأمور
وأية بذرة ستنمو، وأية بذرة لن تنمو
فتكلمن معي إذن. فأنا لا أتوسل ولا أخاف،
معروفكنَّ ولا كراهيتكنَّ.

ساحرة ١: حيّيت!

ساحرة ٢: حيّيت!

ساحرة ٣: حيّيت!

ساحرة ١: أقلّ من مكبث وأعظم!

ساحرة ٢: ليس سعيداً جداً، مع ذلك أسعد بكثير.

ساحرة ٣: ستنجب ملوكاً، ولو أنك لست منهم:
لذا سلاماً مكبث وبانكو!

ساحرة ١: بانكو ومكبث سلاماً!

مكبث : مكانكنَّ، أيتها المتكلمات القاصرات أطلعنني على المزيد،
فبوفاة والدي «ساينل»، أعرف أنني أمير «غلامس»؛
ولكن كيف أكون أمير «كودر»؟ وأمير «كودر» ما زال حياً،
رجلاً متنعماً؛ وأن أكون ملكاً.
لا يقع في نطاق آمالي، أكثر من أن أكون أمير «كودر». أخبرنني

من أين جئتنَّ بهذه الأخبار الغريبة؟ ولماذا
وقفتن في طريقنا على هذه المرجة اللعينة
بترحيب تنبؤي كهذا؟ تكلمن، آمركنَّ.

[تختفي الساحرات

بانكو: للتراب فقّاعات، كما للماء
وهنَّ من تلك الفقّاعات. ـ أين اختفين؟

مكبث: في الهواء؛ وما ظهر مجسّداً،
ذاب كنفخةٍ في الهواء. ليتهنَّ بقين!

بانكو: هل كانت أشياء كهذه هنا، ونحن نتكلم عنها
أم أننا أكلنا جذوراً تسبب الجنون[٩]
وتقتاد العقل أسيراً؟

مكبث: سيصبح أولادك ملوكاً،

بانكو: ستصبح ملكاً.

مكبث: وأمير «كودر» أيضاً؛ ألم يقلن ذلك؟

بانكو: بنفس الايقاع والكلمات[١٠]. مَنْ هذان؟

## يدخل روس وأنغوس

روس: استقبل الملك بابتهاج أخبار نجاحك
يا مكبث، وعندما فكّر في
مخاطرتك الشخصية في حرب المتمردين،

---

(٩) يعتقد بعض الشرّاح أن الجذر المشار إليه هو الـ Henbane: البنج.

(١٠) أي بنفس إيقاع الساحرات وكلماتهنَّ. مما يشير إلى تشرّب مكبث بسوءاتهنَّ.

تنافست فيه الدهشة من مآثرك، والرغبة في مدحك
فلا يدري أيعبر أولاً عن دهشته أم عن مدحك.
لذا فهو صامت.
وعندما اطّلع على بقية أنباء اليوم نفسه
وجدك في صفوف القوات النرويجية العنيدة
غير خائف مما صنعتَ
من أشكال غريبة للموت. وكالبَرَد المتواصل
تقاطر الرسل واحداً تلو الآخر؛ وكل واحد يحمل
المدائح لك لدفاعك المستميت عن مملكته،
وصبّها بين يديه.

أنغوس: لقد بعثنا الملك،
لنقدّم لك شكر سيِّدنا؛
ولنرافقك إليه ليس إلاّ،
لا لنكافئك.

روس: وعربوناً لتكريم أعظم
أمرني أن أخاطبك بأمير «كودر»
بهذا اللقب، مرحباً، أيها الأمير الأكثر جدارة
فهو لك

بانكو: ماذا! أيمكن للشيطان أن ينطق الحق؟

مكبث: ما يزال أمير «كودر» حيّاً، لماذا تُلبسونني ثياباً مستعارة؟

أنغوس: الرجل الذي كان أمير «كودر» مازال يعيش؛
إلاّ أن حياته محكومة بالموت

وهو يستحقُّ أن يفقدها. وما همَّ إن هو
انخرط في القوات النرويجيّة، أو بطّن ثياب المتمرد[١١]
مقدِّماً العون والفرصة مجاناً، أو أنه قام بالاثنين معاً
لتدمير وطنه،
فإن أعمال الخيانة التي اعترف بها وثبتتْ عليه
قد أطاحت به.

مكبث: (على حدة) غلامس وأمير «كودر»:
والتكريم الأعظم آتٍ. (إلى روس وأنغوس) شكراً لما
تجشمتماه من متاعب. ـ
(إلى بانكو) ألا تأمل أن يكون أولادك ملوكاً
فعندما تنبأتْ أولا لي بلقب أمير «كودر»
وعدنَك بشيء لا يقلُّ عن ذلك؟

بانكو: إذا صدّقتهن تماماً
فقد تشتعل رغبةً في التاج،
بالإضافة إلى «إمارة كودر».. أمر عجيب:
غالباً ما تستدرجنا قوى الظلام إلى الضرّ،
بما يخبرْنَنا من حقائق صادقة؛
تستميلنا بالتوافه الصحيحة، وتخوننا
في القضايا الأخطر أهمية.

---

(١١) بطّن ثياب المتمرد: تعني هنا قوّاه. إن للثياب في هذه المسرحية دلالات اجتماعية وسياسية، وقد ابتدأها مكبث بقوله: «لماذا تُلبسونني ثياباً مستعارة؟». الثياب عموماً، في هذه المسرحية، تغيّر من سلوك الشخصيات، كما سنرى.

(إلى روس وأنغوس) أيها النبيلان كلمة معكما عن إذنكما

مكبث: (على حدة) حقيقتان صحّتا،
وهما مُقدمتان مؤاتيتان للفصل الرائع[١٢]
من المسرحية الجليلة. أشكركما أيها السيدان. ـ
(على حدة) هذا العرض الاستثنائي
ليس شراً؛ وليس خيراً: ـ
إن كان شراً، فلِمَ أعطاني عربون نجاح
مبتدئاً بحقيقة؟ أنا أمير «كودر»:
وإن كان خيراً، فلماذا أذعن للجريمة
التي تُوقفُ صورتُها الشنيعةُ شعر رأسي
وتجعل قلبي الثابت يدق على أضلاعي،
على غير العادة؟ ومخاوفنا الحاليّة
أقل من مخاوفنا المتصوَّرة المرعبة.
إن فكري، ومايزال القتل فيه متخيلاً،
يزلزل وجودي كلّه. لقد أمات التحسّب
قدرتي على التمثيل، فلا يوجد شيء،
إلاّ الشيء غير الموجود.

بانكو: (إلى اللورديْن) أنظرا، كيف ذهول صاحبنا.

---

(١٢) معظم الاستعارات هنا في كلام مكبث مستقاة من المسرح.

مكبث: **(على حدة)** إذا كان للقدر أن يجعلني ملكاً، فقد يتوجني القدر دون سعيي.

بانكو: تُغْدَقُ عليه الألقاب الجديدة
مثل ثيابنا الجديدة، لا تناسب قالبها(١٣)
إلا بفضل الاستعمال.

مكبث: **(على حدة)** ما سيقع سيقع،
الفرصة المؤاتية آتية مهما كانت الأيام عسيرة.

بانكو: أيّها المحترم مكبث، نحن بانتظارك.

مكبث: **(إلى اللوردين)** أستميحكما عذراً: رأسي طافح(١٤)
بأشياء نُسيتْ. أيّها الطيبان: متاعبكما
قد دوّنتها حيث أستطيع كلّ يوم أن أقلّب
الصفحة لأقرأها. دعونا نذهب إلى الملك. -
(إلى بانكو) فكّرْ بما صادفناه و؛
حين يتسع لنا الوقت
وقد وزنّاه في هذه الأثناء، سنفتح
قلوبنا لبعضنا بعضاً.

بانكو: بطيب خاطر.

مكبث: يكفينا هذا الآن إلى أن نلتقي. - هيّا، أيها الصحب.

**[يخرجون**

---

(١٣) الاستعارة من الملابس.

(١٤) لم يكن مكبث في الواقع يعكر بالماضي المنسيّ وإنما بالمستقبل. وهنا تجدر المقابلة بين النسيان وبين تدوين متاعبهم، في الذاكرة طبعاً.

## المشهد الرابع ـ (قلعة فورس. غرفة في القصر)

**بوق. يدخل دنكن، مالكولم، دونالبين، لينوكس ومرافقون**

دنكن: هل نُفذ إعدام كودر؟ ألمْ
يَعُدْ هؤلاء الذين أوكلتُ إليهم المهمة؟

مالكولم: سيّدي
لم يعودوا بعد، ولكنني تحدثتُ
إلى شخص رآه يموت، ذاكراً
أنه اعترف اعترافاً صريحاً بخيانته،
والتمس من جلالتكم العفو، وأبدى
ندامة عميقة. ما من شيء شرّفه في حياته
مثل مغادرته لها: لقد مات
كمن استظهر دور الموت(١٥)،
لافظاً أعزَّ ما يملك،
وكأنه شيء تافه لا يستحقُّ الاهتمام.

دنكن: لا يوجد عِلم
لمعرفة ما يدور في العقل من الوجه:
كان رجلاً نبيلاً بنيتُ عليه
ثقة مطلقة ـ

---

(١٥) الاستعارة من المسرح.

**يدخل مكبث، بانكو، روس وأنغوس**

(إلى مكبث) أيا أعزّ آبن عم!
وحتى الآن ما زالت خطيئة جحودي
ثقيلة الوطأة عليّ، أنت متقدم علينا بمسافة بعيدة
حتى أنّ أسرع جناح لمجازاتك بطيء
فلا يدركك: لو كنتَ أقل استحقاقاً
لتمكنتُ من إعطائك كلا الامتنان والمكافأة الصحيحين!
لم يبق لي شيء أقوله سوى:
ما تستحقه أكثر مما نستطيع أن ندفعه جميعنا.

مكبث: إنّ قيامي بخدمتكم والولاء لكم
يسدّد ما أنا مدين به لكم. دور جلالتكم
أن تتقبلوا واجباتنا، وواجباتنا
هي أطفال وخدم لعرشكم ودولتكم
نؤديها كما ينبغي لفعل أيّ شيء
يضمن لنا حبّك وإكرامك.

دنكن: أهلاً بك هنا:
لقد شرعتُ بغرسك، وسأكدح
لجعلك تام النمو[١٦]. ـ أيها النبيل بانكو
لا تقلُّ استحقاقاً. ولن يكون استحقاقك

---

(١٦) استعارات دنكن وإجابة بانكو مأخوذة من الغرس والزراعة.

أقل ذيوعاً، دعني أحتضنك
وأضمّك إلى قلبي.

بانكو: إذا ما اشتدّ عودي،
فالحصاد حصادك ـ.

دنكن: أفراحي الغزيرة،
طفحتْ بحيث لا يمكن احتواؤها، وتجهد أن تخفي نفسها
بقطرات من الدموع. ـ **(إلى الجميع)** أيها الأبناء والأقرباء والنبلاء
وأنتم يا أقرب الناس مني، إعلموا
أننا سنورث العرش الاسكتلندي بعدنا
إلى آبننا الأكبر مالكولم الذي نلقبه من الآن
أمير كامبرلاند. وليس هذا التكريم
له وحده.
فشارات النبالة ستتألق كالنجوم
على مستحقيها. ـ **(إلى مكبث)** لنذهبْ إلى قلعتك بأنفرس
حتى يكون دينُك علينا أكثر.

مكبث: الراحة عبءٌ، إذا لم نقدّم لك فيها خدمة
سأكون أنا الرسول، وأُسعد زوجتي بسماع مقدمكم
لذا، أستأذنكم بتضرّع.

دنكن: يا كودري الشهم!

مكبث: **(على حدة)** أمير كمبرلاند! ـ هذه عتبة في طريقي
إما أن أعثر بها فأكبو، أو أثب فوقها
لأنها رابضة أمامي. أيتها النجوم إحجبي أنوارك!
لا تجعلي النور يرى رغباتي السود والدفينة؛
دعي العين لا ترى ما تفعل اليد. ليقعْ
ما تخشاه العين، ولا تَرَاهُ، إلاّ بعد إنجازه.

**[يخرج**

دنكن: صدقتَ أيها المحترم بانكو، إنه لشجاع كما قلتَ،
لقد لُقِّمتُ تقارير(١٧) ممتازة عنه؛
إنها وليمةٌ لي. هيا نتبعه
فقد تجشّم العناء للوصول قبلنا لاستقبالنا:
إنها لقرابة لا نظير لها.

**[يخرجون**

---

(١٧) الاستعارة في هذا السطر وما بعده من الطعام.

## المشهد الخامس

## أنفرس. غرفة في قلعة مكبث

## تدخل الليدي مكبث وهي تقرأ رسالة

الليدي مكبث: «قابلنني في يوم النصر؛ وعلمتُ من أفضل المصادر، إنهنَّ يمتلكن من المعرفة أكثر مما يمتلكُ البشر. وحين اشتعلتُ رغبة في استجوابهنَّ أكثر، جعلن أنفسهنَّ هواء، وذبْن فيه. وبينما وقفتُ منصعقاً من عجب ما سمعت، فإذا برسولين يأتيان من الملك يحييانني بلقب أمير كودر؛ وهو اللقب الذي حيّينني به أخوات القدر من قبل، وأشرن إلى الزمن القادم فقلن: «سلاماً، ستكون ملكاً»! تصورت أن هذه أنباء سارّة أخبرك بها، يا أعز شريكة لي في العظمة، حتى لا يفوتك الفرح المناسب، لو كنتِ جاهلة بالعظمة الموعودة بها. فكري بالأمر سرّاً، ووداعاً».

أمير غلامس أنت، وكودر؛ وستكون

ما أنت موعود به. ـ إلاّ أنني أخشى من جبلّتك

إنها ممتلئة تماماً بحليب الطيبة الإنسانية،

فلا تنتهز أقصر السبل. ولو أنك تريد أن تكون عظيما؛

وأنك لا تخلو من طموح، إلاّ أنك

تخلو من الخبث الملازم له. ما تصبو إليه من مطامح

لا تريده إلاّ باستقامة. لا تريد أن تغشّ في اللعب.
بيد أنك تريد أن تكسب بالباطل. يا غلامس
العظيم، تريد
ذلك الشيء الذي يصرخ بك، «أقدمْ أن كنت
تريده»؛
ذلك الشيء الذي تخاف أن تفعله
أكثر مما ترغب في عدم فعله. أسرعْ إليّ،
حتى أصبَّ روحيّتي في أذنك(١٨)،
وأعاقب بجرأة كلماتي
كلَّ ما يعيقك عن التاج
الذي يبدو، أن القدر، وعون التنبؤات كليهما
قد توجاك به.

## يدخل رسول

ما الأخبار التي جئت بها؟

الرسول : الملك يأتي إلى هنا الليلة

الليدي مكبث: أنت مجنون حتى تقول ذلك.
أليس سيّدك مكبث معه؟ لو كان الأمر كما تقول،
لأرسل لنا خبرا حتى نتهيّأ.

الرسول : لا. عفوك، ما قلتهُ صحيح: أميرنا قادم؛
أحد زملائي سبقه في الوصول،

(١٨) ربما كما صبَّ كلوديوس السمّ في كأس هاملت الأب.

شبه ميّت لانقطاع نفسه
الذي لم يبق منه سوى أن يبلّغ رسالته.

الليدي مكبث: إرعوْه
جاء بأنباء عظيمة (**يخرج الرسول**) الغراب[١٩]
نفسه أجش
ذاك الذي ينعق بالدخول المشؤوم لدنكنْ
تحت جدران قلعتي. تعالي أيتها الأرواح
التي ترعى النوايا القاتلة، خذي نسائيتي ههنا
واملأيني من الرأس إلى القدم بأفظع قسوة طافحة!
خثّري دمي، أوقفي مجراه إلى الرحمة،
سدّي كل مسرب يصل إلى الضمير
حتى لا تعرّض مشاعرُ الرحمة
خططي الوحشية للخطر، أو تقيم
سلْماً بينهما. تعالي إلى ثدييْ نسائيتي،
واستبدلي حليبي بالمرّة، أنتن يا معيلات الجريمة،
حيثما أنتن تلازمن بأجسادكنّ المخيفة كوارث
العالم! تعال، أيها الليل البهيم،
ولفّعْ نفسك بأعتم دخان في الجحيم،
حتى لا ترى سكّينتي الحادّة الجرح الذي تصنع
أو تبرق روح خيرة من السماء من خلال حجاب الظلام

---

(١٩) الغراب: نذير الموت.

لتصرخ: «قفي، قفي!»

**يدخل مكبث**

يا غلامس العظيم! يا كودر المبجّل!
وأعظم من كليهما، بما ستُحيّا به عما قريب!
حملتني رسالتك إلى ما بعد
هذا الحاضر الساهي عن المستقبل، وأشعر الآن
أن المستقبل هو في هذه اللحظة.

مكبث : يا أعزَّ حبيبة،
سيأتي دنكن إلى هنا هذه الليلة.

الليدي مكبث: ومتى سيغادر؟

مكبث : غداً، كما يرتئي.

الليدي مكبث: أوه! أبداً
لن ترى الشمس ذلك الغد!
وجهك، يا أميري، مثل كتاب، حيث
قد يقرأ فيه الناس أموراً غريبة. وحتى تظلِّلْ الناس،
فابدُ لهم كما يبدون، رحّبْ بهم بالعين،
واليد، واللسان: ابدُ كالزهرة البريئة
بيد أن الثعبان تحتها[٢٠]. فذلك الذي سيأتي
يجب أن تُهيّأ له الطبخة[٢١]. وستترك لي

---

(٢٠) صورة الزهرة والثعبان مأخوذة من فيرجل.
(٢١) لقد أسرع مكبث لتحضير منام الملك أولاً ولكنه الآن يهيّىء لقتله.

تدبير الفعلة العظيمة هذه الليلة؛
فستعطينا وحدنا، في كل ليالينا وأيامنا القادمة
السلطة والسيادة.

مكبث : سنتحدث أكثر.

الليدي مكبث: تظاهر بالمرح فقط؛
إنّ تغيّر ملامح الوجه علامة الخوف دائماً.
واترك لي كلَّ الأمور الباقية.

## المشهد السادس

[كالسابق. أمام القلعة]

**زمّارون وحاملو مشاعل. يدخل دنكن، مالكولم، دونالبين، بانكو، لينوكس، مكدف، روس، أنغوس، ومرافقون.**

دنكن: موقع هذه القلعة بهيج؛ فالهواء[٢٢]
يخفُّ بسرعته وعذوبته للترحيب
بحواسّنا المرهفة

بانكو: ضيف الصيف هذا،
الخطّاف الملازم للمعابد يؤكد ذلك
ببناء بيته هنا، ونَفَس السماء
يعطّ بافتتان هنا: ما من جزء ناتىء
أو إفريز، أو دعامة
أو زاوية مشرفة، إلاّ وبنى فيها
سريره المعلّق، ومهد ذرّيته
لقد لاحظتُ أن الخطاطيف أينما تتناسل وتسكن
فالهواء رقيق.

**تدخل الليدي مكبث**

دنكن: أنظروا، أنظروا! مضيّفتنا المكرّمة. ـ

---

(٢٢) في كلام دنكن، تركيز على حاسة الشمّ، والرائحة الزكية، ولابدَّ من ربطها بصورة الزهرة والثعبان، وإن كانا غير داريين بالخطر.

(إلى الليدي مكبث)

إنَّ الحبَّ الذي أبدته لنا، هو أحياناً مصدر قلقنا(٢٣)

مع ذلك فإننا نشكرها عليه كحبّ. وبهذا أعلّمك،

كيف تطلبين من الله مجازاتنا على تعبك،

وكيف تشكريننا على ذلك التعب.

الليدي مكبث: كل خدماتنا

إن قدّمناها بكلّ تفاصيلها مرتين، ومن ثَمَّ نضاعفها

ستكون جهداً ضئيلاً وضعيفاً مقارنة

بما تحمّلُ هذا البيت يا جلالة الملك

من تلك المكرمات العميقة والواسعة، من المكرمات القديمة،

والمكرمات الجديدة التي كُدِّست فوقها،

لا يمكن أن نجازيك إلاّ بالدعاء.

دنكن : أين أمير كودر؟

لقد تبعناه على عقبيه، وكانت غايتنا

أن نسبقه فنكون رسوله: لكنه يجيد الركوب؛

وحبّه العظيم، حادّاً كمهمازه، ساعده

(٢٣) يعتقد بعض الشرّاح، أن كلام الملك هنا مشوّش، ولكنهم يعزونه إلى الناسخين ولكنه يبدو ارتباك عاطفي لدرجة إنه ينسى نفسه ملكاً ويخاطب بـ «أعلمك» بدلاً من «نعلمك» وهي صيغة الكلام الملكي المتعارف عليها.

في الوصول إلى البيت قبلنا. أيتها المضيفة الجميلة النبيلة،
نحن ضيفك هذه الليلة.

ليدي مكبث: خدمكم دائماً
هم وما يملكون على سبيل الأمانة،
وسيكشفون حسابها متى شئتم
وسيعود إليكم دائماً ما يخصكم

نكن : أعطيني يدك؛
قوديني إلى مضيّفي. نحن نحبّه حباً جزيلاً
وسنواصل نِعَمَنَا عليه.
إذا سمحت، أيتها المضيفة.

**المشهد السابع ـ (نفس المشهد. غرفة في القصر)**
**مزامير وحاملو مشاعل. يدخل رئيس النادلين**
**وخدم من مختلف الصنوف بمواعين وصحون**
**ويقطعون خشبة المسرح. ثم يدخل مكبث**

مكبث: (**على حدة**) إذا فُعِلتِ الفعلة وانتهتْ، فمن الأفضل إذن
أن تنجز بسرعة. ليت الاغتيال
يصطاد[٢٤] كل التبعات، ويأتي
نجاحي بموته[٢٥]؛ ليت هذه الضربة
تكون ما سوف يكون وخاتمة كل شيء هنا،
حتى هنا في الساحل الرملي لبحر الأبدية
نجازف بحكم الحياة الأخرى. ـ لكن في دعاوى كهذه[٢٦]
يصدر علينا الحكم دائماً في الحياة هنا، وفي ذلك نلقِّن
دروس القتل، وعندما تهضم، تعود
وتعذِّب مبتدعها: إن العدالة الحقانيّة اليدين
تقدّم لنا الكأس التي ملأناها بالسُّم
إلى شفاهنا نحن. إنه هنا في أمانٍ مضاعف

---

(٢٤) أي مثل الشبكة في الصيد.
(٢٥) أي بموت الملك، أو بنهاية التبعات. إن الارتباك في التفسير ناتج من أن شيكسبير يستعمل His بمعنى Its'
(٢٦) المصطلحات التي يستعملها شيكسبير على لسان مكبث تستند إلى القانون والأعراف.

أولاً، لأني قريبه وأحد رعاياه،
وهما حائلان قويّان ضدَّ الفعلة، ثمَّ إني مضيّفه
الذي يجب أن يحول دون أن يقتله أحد،
لا أن أحمل السكّين أنا نفسي. بالإضافة، فإن هذا
ال «دنكن»
مارس صلاحياته بتواضع وكان
خالياً تماماً من كلِّ شائبة في عمله، بحيث ستترافع
فضائله عنه، مثل ملائكة مبوّقة ضد
اللعنة المريعة على قتله؛
والرحمة[٢٧] مثل طفل عارٍ جديد
تمتطي زوبعة الاحتجاج أو مثل الملَك كروب[٢٨] على
صهوة
خيول الهواء الخفيّة،
ستنفخ الفعلة الشنيعة في كل عين،
لذا ستُغرقُ الدموع الريح. ـ ما من مهماز لديّ
لأنخس به خاصرتيْ عزيمتي، سوى
طموح جامح، يثب أعلى مما ينبغي
فيسقط على الجانب الآخر.

---

٢١) المعروف أن الرحمة كغيرها من التصورات المعنوية تعامل في الفكر الإنكليري وكأنها شخص مجسّد.

٢/) CHURUBIN من الكلمة العبرية CHURBIM. جاء المزمور التامس عشر (٩): «ركب على كروب وطار وهفَّ على أجنحة الرياح». وتعني هنا الملاك الدي يشبه الطفل.

**تدخل الليدي مكبث**

ما هذا! ما الأخبار؟

الليدي مكبث: انتهى تقريباً من عشائه. لماذا غادرت الغرفة؟

مكبث : هل سأل عنّي؟

الليدي مكبث: ألا تعلم أنه سأل؟

مكبث : لن نستمر في تنفيذ الفعلة هذه:

لقد كرّمني مؤخراً؛ ولقد اكتسبت

سمعة(٢٩) نيّرة من شتّى الناس،

يجب أن أرتديها الآن ما دامت في لمعانها الأكثر جدّة

لا أن أطرحها في الحال

الليدي مكبث: هل كان الأمل مخموراً

ذاك الذي اكتسيتَ به مرّة؟ هل رقد منذئذٍ

وصحا الآن، مخضراً وشاحباً

مما فعل بحريّة؟ من الآن

سأعتبر حبّك كذلك. هل أنت خائف

أن تكون الشخص نفسه في الفعل والشجاعة،

كما أنت في الرغبة؟ هل تريد أن يكون لك

ذاك الذي تعتبره تاج الحياة،

وتعيش عيشة جبان بمعيارك أنت

---

(٢٩) عوملت السمعة هنا وكأنها رداء.

جاعلاً «لا أجرؤ» تتبع «أودّ»،
مثل القطة المسكينة تشتهي السمكة وتخاف البلل[٣٠]؟

مكبث : أرجوك أسكتي
أجرؤ على عمل كل شيء يليق برجل؛
ومن يجرؤ على عمل شيء أكبر فلا وجود له.

الليدي مكبث: أي وحش إذن
جعلك تخبرني عن خطّتك هذه؟
حين كنت قادراً على تنفيذها، كنتَ عندئذٍ رجلاً:
ولكن حينما تصبح أكثر مما كنت،
فإنك أكثر شبهاً بالرجل. لم يكن الزمان ولا المكان
مؤاتيين، مع ذلك أردتَ جمعهما؛
لقد سنحا، وسنحوهما الآن
حطّما ثقتك بنفسك. كنت مُرضعة وأعرف
عِظَم الرأفة على طفل مصَّ حليبي:
بيد أني، وبينما هو يبتسم في وجهي،
سأقتلع حلمتي من لثّته العارية من الأسنان
وأطرطش مخّه، لو كنتُ أقسمتُ
على هذه الفعلة، كما أقسمتَ أنت.

٣٠) مثل إنكليزي: «القطة تشتهي السمكة وتخاف من تبليل مخالبها». لم يذكر شكسبير المثل بالنص ولكنه أشار إليه. وقد ترجم هنا بالنصّ تقريباً خشية أن يكون البيت غامضاً للمشاهد أو القارىء العربي.

مكبث : وإذا أخفقنا؟

الليدي مكبث: نخفق؟

حسبك أن تشدَّ وتر شجاعتك إلى منزع القوس
ولن نخفق. فحين يكون دنكن غارقاً في النوم
(حيث سفرته المرهقة هذا اليوم
لا بدّ تدعوه إلى النوم عميقاً)
وبالخمر والقصف، سأصرع حارسيْه،
وستصبح الذاكرة، وهي حارسة الدماغ،
غازاً، وإناء الدماغ مجرد أنبيق: وحين يهمد
كياناهما المخموران بنومة خنزير، كأن في موت
ألا يمكننا أنت وأنا أن ننفِّذ فعلتنا
بدنكن وهو بلا حرس؟ ألا يمكن أن نلقي
التبعة على حارسيه المنقوعين كالاسفنجة فيتحملا
الجريمة الكبيرة؟

مكبث : إحبلي بالذكور فقط!
لأنَّ معدنك الشجاع يجب ألاّ يركِّب
إلّا ذكوراً. ألا يصدقونها حقيقة،
إنْ نحن لطخنا بالدم هذين النائميْن
في غرفة نومه هو، واستعملنا نفس خنجريهما
على أنهما، فاعلا الجريمة؟

الليدي مكبث: مَنْ يجرؤ أن يصدّق خلاف ذلك،
ما دمنا نجعل صرخات أسانا تجأر

لموته؟

مكبث: لقد قرَّ
قراري، شادّاً
كلَّ عضوٍ في جسدي لهذه الفعلة الفظيعة.
لننصرفْ ونخدع الناس بأسعد الوجوه:
على الوجه الكاذب إخفاء ما يعلمه القلب الكاذب.

**[يخرجان**

# الفصل الثاني

## المشهد الأوّل ـ نفس المشهد. باحة داخل القلعة
## يدخل بانكو، وفليانس وبيده مشعل

بانكو: كم مضى من الليل، يا بُنيّ(*)؟

فليانس: غرب القمر؛ ولم أسمعْ دقات الساعة.

بانكو: ويغرب القمر في الساعة الثانية عشرة.

فليانس: أفترض مما تقول، أنَّ الوقت متأخر عن ذلك، يا سيدي.

بانكو: تمهّلْ، خذْ سيفي. ـ ثمّة تقتير في السماء؛

---

(*) في هذه الساعة المتأخرة، من الليل، مايزال بانكو وابنه في فناء القصر. إنه لا يستطيع النوم بسبب أفكار مضطربة. لقد أخذته الدهشة حينما رأى مكبث ومعه خادمه خارج فراشه. يتحدثان قليلاً عن تنبؤات الساحرات، ثم يفترق عنه بانكو وفليانس. يرسل مكبث خادمه طالباً من زوجته الليدي مكبث أن تقرع الجرس حين يكون شرابه حاضراً. وهذه إشارة اتفقا عليها، على أن الوقت مواتٍ للقيام بقتل الملك. يرى مكبث طيف خنجر جاهر ليمسك به. تبدو عليه قطرات دم، فيفكر بالأفعال الشريرة التي نفذت تحت جنح الظلام. يُدقّ الجرس، فيذهب نحو فراش الملك دنكن.

فكلُّ شموعها مطفأة. ـ وخذْ هذا، أيضاً[1].
دعوة عميقة للنوم تجثم كالرصاص فوقي،
ومع ذلك لا أرغب في النوم: أيّتها الملائكة الرحيمة!
إلْجمي فيَّ الأحلام الشريرة التي
تُطلقها الحياة أثناء الهجوع! ـ أعطني سيفي.

**يدخل مكبث، وخادم وفي يده مشعل**

**(إلى مكبث)**
مَنْ هناك؟
مكبث: صديق.
بانكو: ماذا، يا سيد! ألمْ تخلدْ للنوم بعد؟ الملك في الفراش:
كان في بهجةٍ فوق العادة وقد
أرسل هدايا ثمينة إلى خدمك
وبهذه الماسة يحيّي زوجتك،
ناعتاً إيّاها بأطيب مضيّفة، وقد أنهى أمسيّته
متدثراً ببهجةٍ لا حدَّ لها.
مكبث: لأننا لم نكنْ متهيئين، لذا،
باتت رغبتنا مقيّدة بالقصور،
ولولا ذلك لانطلقت بما يقتضي الواجب.
بانكو: كلّ شيء على ما يُرام،

(١) إما المعطف أو القبعة.

حلمتُ البارحة بأخوات القدر الثلاث:
لقد أظهرن بالنسبة لك بعض الصدق.

مكبث: لا أثق بهنَّ:
مع ذلك، فحين نجد الوقت،
فسنصرفه في الحديث عن هذا الموضوع.
إذا سمح وقتك.

بانكو: في أي وقت يناسبك.

مكبث: لو انضممتَ إلى جانبي، حينما يحين الوقت،
لقلّدتك تكريماً.

بانكو: شريطة أن لا أفقد أيَّ شيء
في السعي لطلب المزيد، لكن سأُبقي
فؤادي طاهراً، وولائي (للملك) صادقاً دائماً،
عندئذٍ سأستمع إلى نصيحتك.

مكبث: إلى أن نلتقي ثانية، لك أجمل التمنيات.

بانكو: شكراً، يا سيدي: لك مثلها.

**[يخرج بانكو وفليانس**

مكبث: (**إلى الخادم**) إذهبْ واسأل سيدتك، أن تقرع الجرس
عندما يكون شرابي جاهزاً. إذهبْ إلى فراشك.

**[يخرج الخادم**

أهذا هو خنجرٌ أراه أمامي[٢]
مقبضه باتجاه يدي؟ (**يكلّم الخنجر**) تعالَ
دعني أُمسكك: ـ
لا أستطيع أن أمسكك، ومع ذلك أراك دائماً.
هل أنتَ، يا رؤية قاتلة لا تستجيب
لِلَّمس، كما تستجيب للبصر؟ أم أنك
مجرد خنجر للذهن، خلْق زائف
صنعه دماغ مصاب بالحمّى؟
أراك الآن، بشكل ملموس
كهذا الذي أستلّه الآن.
أنت ترشدني إلى الطريق التي كنت ماضياً إليها؛
وآلة كهذه كنت سأستعمل. ـ
عيناي إمّا آستهبلتهما بقيّة حواسيّ،
أو أنهما أكثر ثقة منها: مازلتُ أراك؛
وعلى نصْلك ومقبضك قطرات دم
لم تكن عليهما من قبل. ـ لقد ظهرت للتوّ.
إنها الفعلة الدموية التي تتشكل
بهذه الصورة في عيني. ـ والآن في نصف الكرة الأرضية ذاك (حيث الليل)
تبدو الحياة هامدة، والأحلام الخبيثة تخدع

(٢) في هذا المقطع يبدأ تفكك حواس مكبث ويستمرُّ هذا التفكك ويشتدُّ صراع الحواس إلى نهاية المسرحية.

النوم المستور. الساحرات يحتفلن
بطقوس «هيكات»[٣] الشاحبة؛ والقتل الضامر[٤]
أيقظه حارسه، الذئب، وعواؤه
دليله على الوقت. هكذا راح يتسلل باختلاس
بخطوات واسعة كخطوات «تاركوين»[٥] الغاصبة،
صوب خطّته،
متنقلاً مثل شبح. - أيتها الأرض الآمنة الراسخة
لا تسمعي وقع خطاي، ولا أية وجهة تسير، خشية
أن لا تصرخ حجارتك نفسها بأي مكان أنا،
فتفصل لحظة هول القتل الراهنة عن الظروف
المناسبة لها الآن. بينما أنا أتوعد، فهو يحيا:
الكلمات لا تعطي إلاّ أبرد الأنفاس لحرارة الأفعال.

[جرس يقرع

أنا ماضٍ، وقُضيَ الأمر. الجرس يدعوني
لا تسمعه، يا دنكن؛ لأنه ناقوس
يستدعيك إلى الجنّة أو إلى النار.

[يخرج

---

(٣) هيكات: ربّة السحر والقمر.
(٤) كما هي العادة في العصر الأليزيبثي، فإن القتل يصوَّر وكأنه شخص.
(٥) تاركوين: شخصية من التاريخ الروماني، وقصته أنه ذهب ليلاً بالسرّ فاغتصب «لوكريس» مضيفته وزوجة صديقه.

## المشهد الثاني. نفسه

## تدخل الليدي مكبث

الليدي مكبث: ما جعلهما ثملين جعلني جريئة.
وما أخمدهما، أجّج فيَّ النار. ـ الصمت! ـ
السكينة!
إنها البومة التي تنعب، كقارع الناقوس[٦]،
ساعة يُقرىء المحكومين آخر سلام للوداع الرهيب.
(مكبث) يفعلها الآن.
لقد زالت أمامه الروادع القانونية، والخادمان الثملان
يسخران من مسؤوليتهما بالشخير. لقد سمّمت
شرابهما
حتى أن الموت والحياة يتناقشان،
هل سيعيشان أم يموتان.

مكبث : **(داخل الغرفة)** مَنْ هناك؟ ـ ماذا، يا هو!

الليدي مكبث: واه! أخشى أنهما استيقظا،
ولم تكتمل الفعلة: ـ المحاولة وليستْ الفعلة
هي التي تسبّب دمارنا. ـ صمتاً! ـ لقد وضعتُ
خنجريهما إلى جنبهما.
لا يمكن له أن لا يراهما. لو لم يُشبهْ

---

(٦) كانت البومة طير الموت في المعتقدات الأليزبيثية. وقورنت هنا بقارع الناقوس الذي يُرسل ليقدّم للسجناء أقسى «وداع» في الليلة التي تسبق إعدامهم.

والدي أثناء نومه، لفعلتها أنا. ـ يا زوجي[7]!

[يدخل مكبث]

مكبث : لقد فعلتها. ـ ألم تسمعي صوتاً؟

الليدي مكبث: سمعت البومة تجأر، والجداجد تصرخ
ألم تتكلم؟

مكبث : متى؟

الليدي مكبث: الآن.

مكبث : في أثناء ما كنتُ نازلاً

الليدي مكبث: إي.

مكبث : من ينام في الغرفة المجاورة له؟

الليدي مكبث: دونالبين

مكبث : **(ناظراً إلى يديه)** هذا مرأى يُرثى له.

الليدي مكبث: فكرة حمقاء، أن تقول يُرثى له.

مكبث : واحد منهما ضحك في نومه، وآخر صرخ، «جريمة قتل»!
لذا أيقظ أحدهما الآخر: وقفتُ وسمعتهما؛
لكنهما تليا صلواتهما، وتهيئآ
للنوم ثانية.

الليدي مكبث: انهما آثنان يناماان معاً في الغرفة

مكبث : صاح أحدهم: «رحماك يا ربّ!» والثاني «آمين»

(٧) هذه هي المرّة الوحيدة في المسرحية تشير بها الليدي مكبث إلى مكبث بـ «زوجي».

كأنما رأياني بهاتين اليدين كيديْ جلاّد.
لم أستطعْ وأنا أُصغي لمخاوفهما أن أقول، «آمين»،
عندما قالا، «رحماك يا ربّ».

الليدي مكبث: لا تدعِ الأمر يشغل بالك كثيراً.

مكبث : لكنْ لماذا لم أستطع أن أتلفظ «آمين»؟
لقد كنت بأشد حاجة للرحمة[٨]، و«آمين»
التصقتْ بلهاتي.

الليدي مكبث: هذه الأفعال يجب ألاّ نفكّر فيها
بهذه الطريقة وإلاّ ستدفعنا إلى الجنون.

مكبث : خُيِّل لي أنني سمعت صوتاً يجأر، «لا نوم بعد اليوم[٩]! .
لقد قتل مكبث النوم،» ـ النوم البريء؛
النوم الذي يفرز خيوط الهم المتشابكة عن بعضها،
إنّ موت حياة كلِّ يوم، منشِّط كالاستحمام بعد
عمل شاق، البلسم للعقول الموجوعة، طبق الحياة
العظيم الثاني
المغذي الأصلي في وليمة الحياة[١٠]

الليدي مكبث: ماذا تعني؟

---

(٨) كأنما يتجنب مسؤوليته عن القتل.

(٩) من الآن فصاعداً، يكون اللانوم عنصراً أساسياً في تضخيم الأحداث والسلوك الشخصي لكل من مكث والليدي مكبث. إن قلّة النوم ـ من ناحية أخرى ـ تزيد من حدّة تفكك الحواس واصطراعها فيما بينها.

(١٠) على أيام شكسبير، كانت الوجبة الثانية هي الوجبة الرئيسية. فالاستيقاظ هو الوجبة الأولى، في حين أن النوم وهو أقوى مقوّ للحياة، هو الوجبة الثانية.

مكبث : ما يزال يجأر، «لا نوم بعد اليوم»! لكلِّ مَنْ في المنزل:
«أمير غلامس قتل النوم، لذا فأمير كودر
لن ينام أبداً، مكبث لن ينام بعد اليوم!»

الليدي مكبث: ما ذاك الذي صرخ هكذا؟ أيّها الأمير المكرَّم،
إنك تفكّك قوتك النبيلة، حين تفكّر
في الأمور بعقل عليل جداً. إمضِ، خذ ماءً،
وأزلْ هذا الشاهد الوسِخ عن يديْك. ـ
لماذا جئتَ بهذين الخنجرين من مكانهما؟
يجب أن يُتركا هناك، إحملْهما، ولطِّخْ
الحارسيْن الخامديْن بالدم.

مكبث :لن أعود قطّ:
أنا خائف من التفكير فيما فعلتُ؛
لا أجرؤ على النظر إلى فعلتي كرّة ثانية.

الليدي مكبث: يا لَلْعزم الخائر
أعطني الخنجريْن. الراقدون والأموات
كالصور سواء بسواء. عين الطفل فقط
تخاف من صورة الشيطان. فإن كان مايزال ينزف
فاسأصبغ وجهيهما بدمه،
لأنها يجب أن تبدو وكأنها جريمتهما[١١].

[تخرج. طرق من الداخل

مكبث : منْ أين يأتي ذلك القرع؟

---

(١١) هنا تورية بين لفظة GUILT: جريمة وبين GILD: يطلي أو يموّه.

ماذا دهاني، كلُّ صوت يقلقني؟[١٢]
أيُّ يدين ههنا؟ يا ويحي إنهما تقلعان عينيَّ[١٣]
هل كل بحار «نبتون»[١٤] الواسعة تزيل هذا الدم
عن يدي فتتطهر؟ لا، بل إن يدي هذه
ستقلب البحار الضاجة بالمخلوقات، حمراء
ستجعل الأخضر أحمر قانياً.

**[تعود الليدي مكبث ثانية]**

الليدي مكبث: لون يديَّ بلون يديك؛ لكنْ عار عليَّ
أن أحمل قلباً شديد البياض[١٥] من الخوف.
(قرع) أسمع قرعاً على المدخل الجنوبي: دعنا نعود
إلى حجرتنا.
قليل من الماء[١٦] سيبرئنا من هذه الفعلة:
ما أهون الخديعة إذن! لقد تركك
عزمك فلا تقوى على الدفاع. ـ [قرع] سمعاً! قرع
أكثر.
إرتدِ ثياب النوم، مخافة أن تستدعى،
فنُكتشف أننا لم ننمْ بعد. ـ لا تكنْ غارقاً
بأفكارك وبائساً جداً.

---

(١٢) يبدأ مكث هنا بالتشكك بحاسّة السمع.
(١٣) إشارة إلى ما جاء في الإنجيل: (متّى ١٨: ٩) «إنْ عينك سببت لك الإثم فاخلعها، والقها عنك».
(١٤) نبتون: إله البحر.
(١٥) البياض التشديد في هذه المسرحية دليل على الرعب الشديد.
(١٦) قليل من الماء يقارن بما قاله مكبث أعلاه عن بحار «نبتون».

## المشهد الثالث. نفسه

## يدخل بواب[١٧]

(قرع من وراء الكواليس)

البواب: ها هو ذا قرع بلا شك! إذا ما كان الإنسان بواباً في الجحيم فسيكون مشغولاً بفتح الباب مرّة بعد مرّة. (قرع) قرع، قرع، قرع. من الآتي، باسم الشيطان بعلزبوب[١٨]؟ هذا مزارع شنق نفسه، لأنه خزن غلّته ليبيعها طمعاً بثمن عالٍ في السنة التالية ولكن كانت هذه السنة وفيرة المحصول. ادخلْ في الوقت المناسب، ولتكن في جيوبك مناديل كافية، لأنك ستعرق[١٩] هنا مما جنت يداك. (قرع) قرع، قرع. من الآتي، بالاسم الآخر للشيطان؟ ـ بحقٌ إيماني، إنه ذو الوجهيْن[٢٠]، يُقسم مع وضدَّ كل كفة في ميزان العدالة[٢١]. لقد اقترف بما فيه الكفاية من أجل مذهبه.

---

(١٧) كان البواب سكران مما عبّه من شراب في الحفلة التي أُقيمت تكريماً للملك. كلام البواب في نظر بعض الشرّاح الإنكليز غير شكسبيري. ولكن يبدو أنه من صلب التأليف الشكسبيري، إذ كلما اشتدَّ التأزم والجدّ والاختناق الفكري والعاطفي يلجأ شكسبير إلى وسيلة للإنفراج والترويح وتغيير الموضوع. لغة البواب مرتبكة لأسباب عدة منها أنه سكران، ثانياً إنه يتكلم بلغة سوقية وثالثاً لأنه يتصور نفسه حارساً لبوابات الجحيم. لا يخفى أن في المقطع إشارات جنسيّة مبطنة، حاولت الترجمة العربية الإبقاء على بعض غموضها.

(١٨) بعلزبوب: إسم الشيطان.

(١٩) أي من حرارة الجحيم.

(٢٠) أيام كتابة مسرحية مكبث، كان ثمة يسوعي اسمه هنري غارنيت يقول في المحكمة شيئاً ثم يعود وينقضه رغم أنه أقسم على قول الحق. وذو الوجهين أو ذو اللسانين هو الشخص الذي يتفادى قول الحق باستعمال كلمات لها أكثر من معنى.

(٢١) شُبِّهت العدالة هنا بكفتي ميزان، إلاّ أن ذا الوجهين يقسم مع كل كفة وضدها.

مع ذلك لم يرسله لساناه إلى الجنة. (قرع) قرع، قرع، قرع. من الآتي؟ بحقِّ إيماني هذا خياط إنكليزي[٢٢] جاء إلى هنا لأنه سرق من قماش بنطال رجل فرنسي ضيّق. تعال، أيّها الخياط؛ ولك أن تشوي هنا مكواتك الشبيهة بالأوزّة[٢٣]. (قرع) قرع، قرع، قرع. لا يتركونني بسلام قط. مَنْ أنت؟ ـ هذا المكان بارد جداً حتى يكون جحيماً. لن أكون حارس بوابة الجحيم بعد الآن: تصورتُ أني سأدخل بعضاً من كل الحِرف وهم سادرون في درب الغواية الحافل بالأزهار إلى النار الأبدية. (قرع) حالاً، حالاً، أتوسل إليكم أن تنفحوا البوّاب.

[يفتح البوابة

**يدخل مكدف ولينوكس**

مكدف: هل تأخرت أيها الصديق في الذهاب إلى النوم، فلم تستيقظ إلا متأخراً جداً؟

البواب: بحقِّ إيماني، يا سيدي، كنّا نرتشف الخمر حتى صيحة الديك الثانية.

والخمر، يا سيدي، دافع كبير إلى ثلاثة أمور

مكدف: وما هذه الأمور الثلاثة التي يدفع إليها الخمر على وجه الخصوص؟

البواب: بمريم العذراء، يا سيدي، أحمرار الأنف، والنوم،

---

(٢٢) كان يُنظر إلى الخياط أيام شكسبير نظرة دونية.

(٢٣) أوزة الخياط هي آلة الكوي. والبواب هنا يربط بين الأوزّة الطائر وبين الأوزة الآلة، ومن هنا شواؤها.

والتبوّل. يحضّ على الفسق ويمنعه: يهيّج الشهوة ويعطّل ممارستها. على هذا، يمكن القول إن الخمر ذو وجهيْن بالنسبة للفسق: فهو يوجده ويمحوه؛ يهيّجه ويزيله؛ يغويه ويثبطه، يشغِّله ولا يشغِّله؛ في الختام يراوغه بوجهين للتبوّل، وبعد أن يطرحه أرضاً، يتركه.

مكدف: أعتقد أن الخمر صرعك في الليلة البارحة

البواب: ذاك ما فعله، يا سيدي، بحنجرتي بالذات: لقد كِلتُ له الصاع على طرحه إياي أرضاً؛ وأعتقد أنني كنت قوياً جداً بالنسبة له،

على الرغم من أنه شال ساقيَّ من الأرض، إلاّ إنني تمكنت من قذفه.

مكدف: هل استيقظ سيدك؟

**يدخل مكدف**

لقد أيقظه قرعنا؛ ها هوآتٍ

لينوكس: **(إلى مكبث)** صباح الخير، يا سيدي النبيل؟

مكبث: صباح الخير، لكما!

مكدف: هل استيقظ الملك، أيها الأمير الكريم؟

مكبث: لم يستيقظ بعد.

مكدف: لقد أمرني أن أوقظه مبكراً:

كاد يمرُّ موعد إيقاظه.

مكبث: سآخذك إليه.

مكدف: أعرف أن هذا إزعاج ممتع لك؛

مع ذلك فهو إزعاج.

مكبث: العمل الذي نتمتع به يشفي الوجع.
هذا هو الباب.

مكدف: لا بدَّ لي من الجرأة حتى يتسنى لي إيقاظه.
لأن هذا هو واجبي المناط بي.

[يخرج

لينوكس: هل سيغادر الملك اليوم؟

مكبث: أجل: ـ لقد اتخذ الترتيبات لذلك.

لينوكس: كانت الليلة مضطربة: ففي المكان الذي نمنا فيه،
قُوّضت المداخن؛ وكما يقولون،
سُمِعتْ تفجعات في الهواء؛ وصرخات موت غريبة،
وتنبؤ بنبرات مريعة،
حدوث كوارث وشيكة، وحوادث مضطربة،
تفقس من جديد لتجعل الزمن مفجعاً.
أخذ طير الظلام[٢٤] يصرخ طيلة الليل:
قال بعضهم إن الأرض أصيبتْ بالحمى، وارتعشت بالفعل

مكبث: كانت ليلة شرسة.

لينوكس: إنَّ ذاكرتي اليافعة لا تجد
ليلة توازيها.

---

(٢٤) طير الظلام: البوم.

## يعود مكدف

مكدف : ياللهول! ياللهول! ياللهول! لا اللسان، ولا القلب،
بقادرين على تصوّرك أو تسميتك!

مكبث ولينوكس: ما الخطب؟

مكدف : لقد ضرب الدمار ضربته القاصمة
أشد جرائم القتل دنساً اقتحمت
الهيكل الممشوح بزيت الربّ[٢٥]، وسرقت منه
جسد الحياة!

مكبث : ماذا تقول؟ الحياة؟

لينوكس : أتعني صاحب الجلالة؟

مكدف : إذهبا إلى الحجرة، وأعميا بصريكما
ب «مدوسا»[٢٦]، لا تطلبا مني أن أتكلم:
أنظرا، وبعدئذٍ تكلّما أنتما.

**[يخرج مكبث ولينوكس]**

أفيقوا! أفيقوا!
دقّوا ناقوس الخطر. ـ جريمة قتل وخيانة!
يا بانكو ودونالبين! يا مالكولم أفيقوا!
أنفضوا عن عيونكم هذا النوم الماكر، شبيه الموت

---

(٢٥) جسد الملك الذي يمثل النظام، هو مثل الهيكل. فالقاتل قد فتح حسد الهيكل عنوة ومن هنا الدنس.

(٢٦) كانت «مدوسا» فتاة جميلة إلاّ أن «أتينا» قلبتها إلى وحش مرعب. فكل واحد ينظر إلى رأسها يصاب بالعمى، وينقلب إلى حجر.

وحدّجوا في الموت نفسه! ـ أفيقوا، أفيقوا، وانظروا
صورة القيامة العظمى! ـ يا مالكولم، يا بانكو!
قوما كأنْ من قبريْكما، وسيرا كالأرواح
لتشاهدا هذه الفاجعة! دقّوا الناقوس.

[ناقوس يُقرع

## تدخل الليدي مكبث

الليدي مكبث: ما الأمر،
حتى يدعو هذا البوق الفاجع(٢٧) النائمين
في البيت للتجمّع؟ تكلّم، تكلّم!
مكدف : آ، أيتها السيدة النبيلة،
لا يحسن بك أن تسمعي ما يمكنني أن أقوله
فرواية الحدث، بأذن امرأة
قد يقتل أثناء روايته.

## يدخل بانكو

يا بانكو! يا بانكو!
سيدنا جلالة الملك قُتِل.
الليدي مكبث: يا للفاجعة، يا للويل!
ماذا؟ في بيتنا؟
بانك : وحشية تماماً في أيِّ مكان.

(٢٧) تقارن الليدي مكبث الناقوس بالبوق الذي يُستعمل للنفير في المعارك

عزيزي «ذَفْ» DUFF أتوسل إليك، كذّب نفسك، وقل ليس الأمر كذلك.

**يعود مكبث ولينوكس**

مكبث: لو متُّ قبل هذه الفاجعة بساعة فقط،
لعشت عمراً سعيداً؛ لأنه، من هذه اللحظة،
ما من شيء له قيمة في حياة البشر.
الكلّ باطل، الصيت والفضيلة ميتان؛
رحيق الحياة نفد، ولم يبق إلاّ الثفل
يتباهى به عنبار الخمر(٢٨).

**يدخل مالكولم ودونالبين**

دونالبين: ما العلة؟
مكبث: أنت ولا تعرفها:
ينبوع دمك، مصدره، نافورته
قد توقفتْ؛ ينبوعه بالذات توقف.
مكدف: أبوك جلالة الملك قُتِل.
مالكولم: واهاً! مَنْ قتله؟
لينوكس: اللذان في حجرته، كما يبدو قاما بالجريمة؟
أيديهما ووجهاهما موسومة كلّها بالدم؛
وكذلك خنجراهما اللذان وجدناهما

---

(٢٨) شبّه رحيق الحياة هنا بالدم في الجسد. إن VAULT: عنبار الخمر تعني أيضاً سقف السماء الذي يغطي العالم.

على مخدتيهما، غير منظفين:
يحدقان وكانا ساهييْن،
ما من حياة إنسان توضع بعهدتهما.

مكبث :آوه! بل أنا نادم على هيجاني
لأني قتلتهما.

مكدف : لماذا فعلت ذلك؟

مكبث : مَنْ ذا الذي يكون حكيماً، مذهولاً، كيّساً ومستعراً،
موالياً ومحايداً في آن واحد؟ ما من أحد:
إن تسرّع حبي العنيف
تجنّب العقل الذي يدعو إلى التريّث ـ هنا يتمدد دنكن،
إهابه الفضيّ متصالب بدمه الذهبي؛
وبدت طعناته الشاحبة مثل صدوع في الحياة
لتكون مدخلاً للموت: هناك، القاتلان
منقوعان بلون فعلتهما، وخنجراهما مكسوّان
ببشاعة بالدم المتخثر. مَنْ يحجم،
إذا كان لديه قلب يحبّ، وفي ذلك القلب
شجاعة، لإعلان حبّه؟

الليدي مكبث: أخرجوني من هنا، يا أنتم!

مكدف : تولوا أمر السيدة.

مالكولم :[**على حدة لأخيه دونالبين**] لماذا نمسك عن الكلام،
والقضية تمسنا نحن.

دونالبين : **(على حدة لمالكولم)** ماالذي يجب أن يقال هنا
حيث أجَلنا المتربص بنا في كل ثقب صغير
قد ينتفض ويقبض علينا؟ لنهربْ:
ليس هنا مكان سفح الدموع الحقيقية.

مالكولم : **(على حدة إلى دونالبين)** ولا حزننا ـ على شدّته ـ
جاهز للقيام بأيٍّ عمل.

بانكو : تولوا أمر السيدة: ـ

**[تُحمل الليدي مكبث إلى الخارج**

وحين نخفي أجسادنا الواهنة،
التي تقاسي في العري، دعونا نجتمع،
ونحقق في هذه الأشنع فعلة دموية،
حتى نعرفها أكثر. إن المخاوف والشكوك تزعزعنا:
أضع نفسي بإمرة الخالق؛ ومن هذا المكان
أقاتل ضدَّ أهداف الخونة السرية
التي لم تُكشفْ بعد.

مكدف : وأنا كذلك.

الجميع : ونحن كذلك.

مكبث : دعونا بسرعة نرتدي ملابس الرجولة؛
ونجتمع في القاعة جميعاً.

الجميع : بكل ترحاب.

**[يخرج الجميع ما عدا مالكولم ودونالبين**

مالكولم : ما الذي ستفعله؟ لن نجتمع معهم:

إن إظهار حزن كاذب، خدمة،
يقوم بها الإنسان الزائف بلا عناء. سأقصد إنكلترا.

دونالبين : وأنا إيرلندا، طريقانا المختلفان
يجعلاننا كلينا في وضع أكثر سلامة، فحيثما نكنْ
فهناك خناجر في بسمات الرجال.
الأقرب نسابة في الدم
أقربهم إلى قتلنا.

مالكولم : هذا السهم القاتل الذي أُطلق
مازال يحوم، وأكثر الطرق سلامة لنا
هو تفادي المهدَّف، إذن، إلى خيولنا،
دعنا من الحرص على التوديع، ولنسرق نفسينا ونرحل
فثمة تبرير في تلك السرقة التي
تختلس نفسها، عندما لم تبق هناك رأفة.

**[يخرجان**

•

## المشهد الرابع. خارج القلعة
## يدخل روس ورجل عجوز

الرجل العجوز: أذكر جلياً، ستين وعشرة أعوام؛
رأيت في هذه الفسحة من الزمن
أوقاتاً مرعبة، وأموراً غريبة، إلاّ أن هذه الليلة المفجعة
جعلتْ ما خبرته من قبل شيئاً تافهاً

روس : سبحان الله، أيّها الأب الطيّب،
لقد رأيتُ السماء، كأنما اضطربتْ من دور الإنسان،
فهدّدت (بظلمتها) مسرحه الدموي: حسب الساعة
إنه نهار،
ومع ذلك فإن الليل المظلم يخنق مصباح السماء الساري[٢٩]
هل هو تفوّق الليل، أم عار النهار،
إذْ راح الظلام يقبر وجه الأرض
في الوقت الذي كان ينبغي أن يقبّله النور المتقد؟

الرجل العجوز: خلاف نظام الحياة
حتى مثل الفعلة التي اقترفت. يوم الثلاثاء الماضي
صاقرت بومة تقتات على الفئران
بازاً وهو منجّم في قمّة تحليقه، وَقَتَلَتْه.

روس : وخيول دنكن (وهذا شيء أكثر غرابة وتيقّناً)

---

(٢٩) أي الشمس.

جميلة وسريعة، لها القِدْح المعلّى بين جنسها،
إنقلبت متوحشة في طبعها، فلتت من مرابطها،
رفستْ،
تكافح ضد الطاعة، كأنما تتمرد
ضدّ الجنس البشري.

الرجل العجوز: قيل إنها أكلت بعضها بعضاً[٣٠].

روس : لقد فعلتْ ذلك، ممّا أدهش عينيَّ،
وهما تنظران إليها.

## يدخل مكدف

ها هو الطيب مكدف. ـ
كيف تجري الدنيا الآن، يا سيدي؟

مكدف : ألا ترى؟

روس : هل عُرِف مقترف هذه الفعلة الأكثر دموية؟

مكدف : هذان اللذان قتلهما مكبث.

روس : ليتني لم أرَ ذلك اليوم!
ما الذي يرجوانه من وراء ذلك؟

مكدف : كانا مأجورَيْن،
مالكولم ودونالبين، آبنا الملك،

(٣٠) الحوار بين العجوز وروس يبيّن اختلال النظام في الطبيعة. البومة تطارد بازاً، الخيول تأكل بعضها بعضاً... دليل على فقدان حتى الحيوانات لطبيعتها كاستجابة مباشرة على قتل الملك، لأن قتله ضدٌ طبيعة الأشياء ونظامها.

تسللا خلسة وهربا؛ مما يجعل الشبهة

تحوم حولهما.

روس : مع ذلك خلاف نظام العالم.

أيها الطموح الجامح ستلتهمُ[٣١]

أسباب قوّتك! عندئذٍ فمن المحتمل جداً،

إن العرش سيؤول إلى مكبث.

مكدف : لقد انتخب ملكاً، وذهب إلى (العاصمة) سْكون SCONE[٣٢]

ليرتدي الثياب الملوكية.

روس : أين جثمان دنكن؟

مكدف : حُمِل إلى (مثوى الملوك) في جزيرة كولم - كِلْ COLME-KILL[٣٣].

حيث مدافن سلفه الطاهرة،

وحارسة عظامهم.

روس : هل تنوي الذهاب إلى جزيرة «شكون»؟

مكدف : لا يا ابن العم، إلى (منطقة) فايف F0IFE[٣٤].

روس : حسن سأذهب إلى هناك.

مكدف : حسن، قد ترى هناك أشياء أفضل: - وداعاً! -

---

(٣١) يُوصف الطموح هنا وكأنه حصان جامح سيقضي على طموحه بجموحه. يعتقد «روس» هنا أن الملك إنما قتله ولداه، وهو أسُّ حياتهما.

(٣٢) كانت عاصمة اسكتلندا ومكان تتويج الملوك الأُسكتلنديين.

(٣٣) جزيرة صغيرة تقع شرقيّ أسكتلندا، وكانت مكاناً تاريخياً لمدافن الملوك الأسكتلنديين. تدعى اليوم IONA.

(٣٤) منطقة بأسكتلندا، وهي الآن مقاطعة.

مخافة أن يكون لِبْس أرديتنا القديمة مريحاً أكثر من الجديدة[٣٥].

روس : وداعاً، أيها الأب.

الرجل العجوز: سِرْ على بركة الله؛ ولترافقْ، إولاء الذين يريدون أن يصنعوا خيراً من شرّ، وأصدقاء من أعداء!

[يخرجون

٣٥) تورية على الزمن: أي في حالة أن تكون الأوقات القديمة أفضل من الأوقات القادمة.

# الفصل الثالث

## المشهد الأول ـ غرفة في القصر

### يدخل بانكو(*)

بانكو : أنتَ الآن فزت بها جميعاً: ملك، وكودر، وغلامس
كما وعدت النساء الغريبات، وأخشى،
أنك قمت بأخبث ما يمكن، للوصول إليها. مع ذلك
فقد قُلْنَ

---

(*) بانكو، وقد عاد الآن إلى القصر الملكي بـ «فورس» باسكتلندا، هو أيضاً مرتاب من مكبث، بيد أنه يتذكر ما قد حدث بالنسبة إلى تنبؤات الساحرات الثلاث، وكانت تلك التنبؤات إلى صالحه. أخبر مكبث والليدي مكبث، اللذان أصبحا ملك وملكة اسكتلندا، بانكو أن يكون ضيف الشرف في الاحتفال مساءً. عرف مكبث من بانكو أنه سيكون بعيداً عن القصر طيلة اليوم، وقد لا يعود قبل هبوط الليل. وسيرافقه ابنه فلياس.
كان ثمة حديان مسكينان ينتظران لمقابلة مكبث الذي أخبرهما قبل هذا بما يريد منهما وهو الآن يشرح لهما خططه. لقد ادعى أن بانكو كان عدوّهما بالسرّ لمدة طويلة، وأنه سبب تعاستهما، والآن يريد منهما أن يقتلا بانكو وابنه فلياس. بانكو في الواقع خطر على مكبث، أولاً لأنه مشهور بنبل شخصيته، ولأن الساحرات أخبرنه بأن أحفاده سيكونون ملوكاً.

إن العرش لن يؤول إلى نسلك
لأني أنا الذي سأكون الجذر والأب
لملوك كثيرين. فإذا صدقْنَ بما قُلْنَ
(وأقوالهنَّ بك يا مكبث، قد تحققت بوضوح)
وما دامتْ تكهناتهنَّ عنك قد صدقتْ
أفلا يكنَّ متكهناتٍ بمستقبلي أيضاً،
ويدعنني أعيش في أمل؟ لكن، الصمتَ، كفى.

**صوت بوق (إيذاناً بدخول الملك).**

**يدخل مكبث بصفته ملكاً؛ والليدي مكبث بصفتها ملكة**

**لينوكس، روس، لوردات، وحاشية.**

مكبث : هو ذا ضيفنا الكبير.

الليدي مكبث: لو نسيناه، لكان مثل فجوة في وليمتنا الكبيرة
وبات كل شيء غير لائق تماماً.

مكبث : (إلى بانكو) سنقيم هذه الليلة عشاءً رسمياً
وأني[1] ألتمس حضورك.

بانكو : أأمرني يا صاحب الجلالة، وطاعتي مشدودة لأوامرك برباط
لا يُحلُّ أبداً.

مكبث : أتذهب راكباً عصر هذا اليوم؟

---

(١) انتقلت الصيغة هنا من الجمع ـ وهو عادة الملوك في الكلام ـ إلى المفرد لإظهار نوع من العلاقة الحميمة.

بانكو : نعم، يا سيدي الكريم.

مكبث : لولا ذلك، لوددنا مشورتك
(التي هي دائماً عظيمة الشأن ونافعة)
في مجلس هذا اليوم؛ لكنْ سنسألك غداً.
أتذهب إلى مكان بعيد؟

بانكو : إلى البعيد الذي، يا سيدي، سيملأ الوقت
من الآن حتى العشاء[٢]: فإذا لم ينطلقْ حصاني
أسرعَ، فلا بدَّ أن أقترضَ من الليل
ساعةً ظلماء أو ساعتيْن.

مكبث : لا تَفُتْكَ وليمتنا.

بانكو : لا سيّدي، لن أدعها تفوتني.

مكبث : لقد سمعنا أن قريبيْنا المجرميْن قد أقاما
بانكلترا وبإيرلندا، غير معترفيْن
بجريمتهما الوحشية. مالئيْن آذان سامعيْهما
بأكاذيب باطلة. دعنا نتحدث عن ذلك غداً
حينما نبحث، بالإضافة إلى ذلك، الشؤون العامة
التي تستوجب اهتمامنا معاً. أسرعْ إلى حصانك، وداعاً،
إلى أن تعود مساءً. هل يذهب فليانس معك؟

---

(٢) قد يكون ـ وإن من بعيد ـ العشاء الأخير في الديانة المسيحية. كما أنَّ افتراض ساعة ظلام أو ساعتين يشيران إلى أجل غامض محتَّم. قد تمّ كلمتا العشاء، وافتراض، إلى ما يحتمل في صدر بانكو من هواجس.

بانكو : لقد حان وقت ذهابنا.

مكبث : أرجو لحصانيكما السرعة وقوة القوائم.
مع التمنيات وأنتما على صهوتيهما
وداعاً. ـ

[يخرج بانكو

[إلى اللوردات]
ليكن كلٌّ منكم سيّد وقته
حتى السابعة مساءً؛ وحتى نجعل اللقاء بكم
أحلى، سنختلي لوحدنا
إلى ساعة العشاء. وحتى ذلك الحين، الله معكم.

[تخرج الليدي مكبث، اللوردات... الخ

[إلى أحد الخدم]
يا سيّد، لي كلمة معك.
هل ذالكما الرجلان ينتظران
أن آذن لهما؟

الخادم : نعم سيدي، إنهما ينتظران خارج بوابة القصر.

مكبث : ليمثلا أمامنا [يخرج الخادم] أن تكون ملكاً على هذه الشاكلة فليس بشيء،
وإنما أن تكون ملكاً وأنت آمن! مخاوفنا من بانكو
ذات وخز عميق. وفي جبلّته الجديرة بالملوك
ما يجب أن يخشى. إنه شجاع للغاية؛
ولديه بالإضافة إلى طبعه الذي لا يهاب،

من الحكمة ما يرشد شجاعته
إلى العمل بأمان. ما من شيء أخاف منه إلاّ بقاؤه حيّاً؛
وأمامه
يخضع الملاك الذي يحرسني، كملاك مارك أنتوني
أمام القيصر[٣] كما قيل. لقد وبّخ «الأخوات» الثلاث
حينما كسونني بلقب ملك لأوّل مرة.
لقد أمرهنَّ أن يخاطبنْه، بعد ذلك
حيّيْنه بما يشبه النبوءة
أباً لسلالة من الملوك
وضعْن على رأسي تاجاً عاقراً
وفي قبضتي وضعْن صولجاناً عقيماً
لِتنزعَه يدٌ ليست من صُلْبي
فلا آبنٌ لي سيخلفني. فإذا كان الأمر كذلك
فإنما من أجل ذرّية بانكو، دمّرتُ طمأنينة عقلي
من أجلهم، قتلتُ دنكن الرؤوف
وضعتُ المرارات في إناء[٤] رأسي الآمن
من أجلهم فقط؛ أعطيتُ جوهرة روحي
إلى الشيطان عدوّ البشر الأبدي
لأجعل منهم ملوكاً، ذرية بانكو ملوكاً!

(٣) تعالج مسرحية يوليوس قيصر جزئياً، هذه العلاقة بين القيصر وأنتوني.
(٤) ربما هنا إشارة خفية دينيّة إلى كأس القربان. يتقوّى هذا الحس الديني بالأسطر الثلاثة التالية.

تبّاً لذلك. تعال، أيها القدر، إلى حلبة القتال
ونازلني إلى الرمق الأخير! ـ مَنْ هناك؟

**[يعود الخادم مع قاتلين]**

(إلى الخادم) والآن إذهبْ إلى الخارج وابق هناك إلى أن نطلبك

**[يخرج الخادم**

(إلى القاتليْن) ألم نتحدث أمس معاً؟

القاتلان : نعم، إذا كان ذلك يرضي جلالتكم.

مكبث : حَسَنٌ، والآن هل فكرتما بما قلته لكما؟
إعلما أنه هو الذي جرّكما إلى حالتكما البائسة هذه
فيما مضى، وظننتما بي
السوء. هذا ما برهنتُ عليه
في اجتماعنا السابق، وأقنعتكما بالدليل
كيف خدعكما، وكيف خذلكما، وما الأسباب
التي وقفت بوجهيكما، وكل الأشياء الأخرى التي
بوسعها أن تقول حتى للأحمق والممسوس
«هذا ما فعله بانكو».

قاتل١ :لقد وضّحتَ لنا ذلك.

مكبث : فعلتُ ذلك، وذهبتُ إلى نقطة أبعد
وهي الآن غاية اجتماعنا الثاني، هل
تجدان الصبر مهيمناً تمام الهيمنة على طبعكما
لدرجة لا تقومان معها بشيء؟ هل أنتما متشربان جداً
بالإنجيل

حتى تُصلّيا من أجل هذا الرجل الطيّب ومن أجل ذريته
ويده الثقيلة قد قوّست ظهريكما
وأفقرت عائليتكما إلى الأبد؟

قاتل ١ :نحن مجرد بشر ولا طاقة لنا على التحمل، يا مولاي

مكبث : نعم، في قائمة المخلوقات تندرجان مع البشر
مثلما تندرج كلاب الصيد، والسلوقي والمهجّن والكلاب الصغيرة القوائم والكلاب الهجينة والكلاب الكثة الشعر والطويلة الشعر والكلاب الذئبية تحت صنف كلاب: أما قائمة التثمين
فتميّز بين السريع والبطيء والمهذّب
وحارس البيت، وكلب الصيد، كلٌّ
وما وضعت فيه الطبيعة السخية من موهبة
وبهذا ينال نعتاً إضافياً على القائمة(٥) التي
تدعوها جميعاً باسم واحد؛ وهكذا البشر.
والآن إذا كان لكما موقع في الصنف
ليس في أدنى مرتبة في الطبيعة الإنسانية، فقولا لي؛
وسأودع في صدريكما تلك المهمة
وتنفيذها يقضي على عدوّكما

(٥) لتحريض الرجلين على الجريمة يبدأ شكسبير أولاً بتصنيف الكلاب لمقارنتهما بها، ثم ينتقل في الأسطر الأربعة التالية إلى استخدام مصطلحات عسكرية لتأجيج روح القتال فيهما.

ويربطكما إلى قلبنا وإلى حبّنا
نحن الذين تعتّل صحتنا لوجوده حيّاً.
وفي موته تكون معافاة.

قاتل ٢ :أنا واحد (من هؤلاء البشر) يا مولاي
أنا الذي أوغرتني الدنيا بلطماتها ودواهيها تماماً
فبتُّ لا أهتمُّ بما أفعل نكاية بالدنيا.

قاتل ١ :وأنا واحد آخر؛
معتلّ تماماً بالنكبات ومتعتع بالقدر،
سأقامر بحياتي في أية لعبة،
فاما أشفيها أو أخسرها.

مكبث : يعرف كل منكما
أن بانكو عدوّكما

القاتلان : صدقاً، يا سيدي.

مكبث : وهو عدوّي أيضاً. وفي مسافة ضيقة كهذه بين متبارزيْن[٦]
فإن كلَّ دقيقة من بقائه حيّاً، تطعن صميم وجودي بالذات، ولو أني قادر على إزاحته من ناظريّ بقوة سلطتي علناً
وأبرّرها بأنها مشيئتي، فإن عليّ ألا أفعل ذلك
من أجل أصدقاء معينين، هم أصدقاؤه وأصدقائي

---

(٦) يترجم بعض الشرّاح IN SUCH BLOODY DISTANCE: «بكره مرير» ولكنَّ كلمة «تطعن» في السطر التالي توحي بالنزال والمسافة.

لا أتمكن من فقدان علاقتهم بي. لكن يجب أن أندب
موته، وأنا نفسي الذي قتلته
لذا فإني أستعطف عونكما
مُخفياً الأمر عن كلّ عين
لأسباب خطيرة شتى.

القاتل ٢ : سنفعل، يا سيدي،
ما تأمروننا به.

القاتل ١ : مع أن حياتنا ـ

مكبث : إن الشجاعة تشعّ من عيونكما[٧]. بعد ساعة على أكثر
تقدير
سأدلكما أين تختفيان
وأعطيكما أدق المعلومات، عن أفضل وقت
وأفضل لحظة فيه، لأن الخطّة يجب أن تنفذ الليلة
وبعيداً عن القصر؛ وتذكّرا دائماً أنني
يجب ألاّ أكون مدار شبهة، ومعه
ابنه فليانس الذي يصحبه
حتى لا نترك عيوباً في العملية ولا أخطاء
إن موته لا يقل أهمية
عن موت والده، يجب أن يقتسم مصير

(٧) يذكّر الإشعاع في العيون في هذه الحالة بالحيوانات المفترسة، وقد أُكملت الصورة بالاحتفاء في السطر التالي، فكأنما هي عملية تربص. أي أن مكبث نجح في تحويل الرجلين إلى وحشين.

تلك الساعة السوداء. إذهبا وفكّرا بالأمر
سأعود إليكما حالاً.

القاتل ٢ : نحن عازمان يا سيدي

مكبث : سأدعوكما حالاً: أنتظراني في الخارج -

[يخرج القاتلان

لقد قُضي الأمر: إن صعود روحك، يا بانكو
إذا نشدت السماء، فلتنشدها هذه الليلة.

[يخرج

## المشهد الثاني
## (نفس المشهد. غرفة أخرى)
## تدخل الليدي مكبث وخادم

الليدي مكبث: هل غادر بانكو البلاط؟

خادم : نعم، يا سيدتي، لكنه سيعود الليلة.

الليدي مكبث: قلْ للملك، أودّ أن أكلّمه، إذا سمح وقته.

خادم : سمعاً، يا سيدتي.

[يخرج

الليدي مكبث: ما من شيء فُزْنا به، كل شيء ضيعناه
إذا ما تحققت الرغبة بدون أن تجلب السعادة:
أن نكونَ مثل الذي حطّمناه،
أسلم من أن نعيش نتيجة التحطيم في فرح مريب.

**يدخل مكبث**

ما الأخبار يا سيدي؟ لماذا تبقى وحيداً،
جاعلاً من أتعس الفِكَر صحباً لك،
ترافقها وهي التي كان يجب أن تموت
مع هؤلاء الذين تدور حولهم؟ الأمور التي لا شفاء لها
يجب ألا يكون لها اعتبار. ما وقع قد وقع.

مكبث :لقد جرحنا الأفعى، ولم نقتلْها:
ستبرأ وتعود كما كانت، بينما يظلّ

جرمنا الضعيف في خطر من نابها السابق.
دعْ عرى الكون تنفصم، دع السماء والأرض تندثران،
قبل أن نأكل طعامنا بخوف، وقبل أن ننام
في غمِّ هذه الأحلام المريعة.
التي نرتجف منها ليلاً. خير لنا أن نكون مع الأموات
الذين كسبا لسلامنا[8]، أرسلناهم إلى السلام،
من أن نرقد على فراش تعذيب
في غثيان لا ينقطع. دنكن في قبره؛
ينام بهناء بعد برحاء حمى الحياة؛
قامت الخيانة بأسوأ فعلاتها: لا الفولاذ، ولا السمّ
ولا الحرب الأهلية، ولا الجيش الأجنبي، لا شيء
بقادر على أن يمسّه بعد الأن.

الليدي مكبث: عنك هذا
يا سيدي الكريم، أبسطْ قسماتك المقطبة؛
كن مبتهجاً ومنشرحاً بين ضيوفك الليلة.

مكبث : سأفعل ذلك يا حبيبتي، وكوني أنت كذلك
أعطي جلَّ اهتمامك لبانكو
وأنزليه أعلى منزلة بكلا اللسان والعين:
حتى نغسل شرفنا بهذه السيول من النفاق

(٨) نجد في بعض النسخ كلمة PLACE، بدل PEACE عندئذٍ يصبح المعنى: «كسباً لمقاما كملك» وهي قراءة معقولة أيضاً.

ونجعل وجوهنا أقنعة لقلوبنا،
مخفيةً ما هي عليه حقّاً.

الليدي مكبث: كُفَّ عن ذلك.

مكبث :أوه! رأسي ممتلىء بالعقارب، يا زوجتي!
أنتِ تعرفين أنَّ بانكو وابنه فليانس يعيشان.

الليدي مكبث: لكنَّ جسديهما غير مخلَّدَيْن[٩].

مكبث :مايزال ثمّة عزاء. يمكن مهاجمتهما:
إبتهجي إذن. قبل أن يطير الوطواط
في أروقة الكنائس؛ قبل أن تدقَّ
خنفساء السرجين بطنينها المُنْعِس
جرس الليل المتثائب، استجابة لنداء هيكاته السوداء،
ستكون هناك فعلة ذات صوت مرعب[١٠].

الليدي مكبث: ما الذي يجب عمله؟

مكبث : كوني بريئة من العلم به، يا فرختي الأعزّ،
إلى أن تحمدي ما حدث. تعال أيها الليل المعمّي،

---

(٩) يختلف الشرّاح هنا في تفسير NATURE'S COPY، وفيها معنيان: (١) الشكل الذي تعطيه الطبيعة للإنسان باستنساخ المخلوق الأوّل، و(٢) معنى COPYHOLD أي عقد الأرض المؤجرة الذي لا يُنتقض. وهي قطعة أرض من مقاطعة واسعة تُؤجر إلى مالكٍ مدة بقائه على قيد الحياة. ربما المعنى الذي ذكرناه أقرب إلى الواقع أولاً لأن الليدي مكبث لم تهتمّ بالقانون من قبل، وثانياً لإقناع مكبث بأن الأجساد فانية على أية حال.

(١٠) يفسّر بعض الشرّاح كلمة NOTE: بـ «ذكرى» أو «أهمية». إلا أن تفسيرها بالصوت ينسجم مع الطنين والنعاس والجرس التي تؤذن جميعها بحلول النوم، لذا يكون الصوت مفزعاً أكثر.

واعصب[11] العين الحنون عن النهار الرؤوف،
وبيدك المدمّاة المخفية،
دمّرْ ومزِّقْ إرباً عقد بانكو مع الحياة
وهو ما يجعلني شاحباً. يتعتّم الضوء
ويطير الغراب إلى الغابة حيث تأوي الطيور؛
أشياء النهار النبيلة .شرعت تقنط وتنعس
بينما عناصر الليل السوداء نهضت لفرائسها.
أنت تندهشين من كلماتي؛ لكنْ لا تقلقي
الأشياء التي تبدأ بالشرّ، تقوّي نفسها بالشرّ
لذا، أرجوك أن تأتي معي.

**[يخرجان**

(١١) الصورة الشعرية هنا هو تشبيه الليل بالصقر وهو معصوب العينين، وترداد الصورة شبهاً في البيتين التاليين، خاصة في كلمتي «مدماة» و«مزّق».

## المشهد الثالث

**(نفس المشهد. منتزه، مع طريق يؤدي إلى القصر)**

**يدخل ثلاثة قتلة**

قاتل ١: مَنْ الذي أمرك بالانضمام إلينا؟

قاتل ٣: مكبث

قاتل ٢: لا حاجة للارتياب به، مادام يخبرنا
أنه يعرف مهمتنا
بأدق التفاصيل.

قاتل ١: إذن إنتظر معنا
مازال الغرب يومض ببعض ألوان النهار
والمسافر المتأخر ينخع حصانه الآن ليسرع
ليصل إلى المنزل المرحِّب، واقتربَ
موعد ما نحن في انتظاره.

قاتل: صمتاً، أسمع خيولاً.

بانكو: **(في الخارج)** أعطني ضوءاً هناك، ياهذا!

قاتل ٢: إذن إنه هو؛ الباقون
المدرجون في قائمة المدعوين
سبق وأن وصلوا إلى حفلة الاستقبال

قاتل ١: خيله تعود إلى الوراء

قاتل ٣: حوالي ميل من القصر، وهذه هي العادة،
كل الرجال يفعلون ذلك من هنا إلى بوابة القصر
يسيرون على الأقدام.

**يدخل بانكو وفليانس، مع مشعل**

قاتل ٢ :ضياء، ضياء!

قاتل ٣ :إنه هو.

قاتل ١ :كونا على أهبة الاستعداد

بانكو : **[إلى فليانس]** ستمطر هذه الليلة[١٢].

قاتل ١ :دعه يسقط[١٣]

**القاتل الأول يطفيء الضوء بينما القاتلان الآخران يهجمان على بانكو**

بانكو : آ، خيانة! إهربْ يا فليانس الطيّب، إهربْ، إهربْ، إهربْ!

فلعلّك تثأر - **(إلى القاتل)** أيها العبد.

**(يموت بانكو ويهرب فليانس)**

قاتل ٣ :مَنْ أطفأ الضوء؟

قاتل ١ :أليس ذلك ما يجب أن أقوم به؟

قاتل ٣ :لم يسقط إلاّ واحد، هرب الآبن.

قاتل ٢ :لقد أضعنا

النصف الأفضل من مهمتنا.

قاتل ١ :حَسَنٌ، لنذهبْ

ونخبِّر عن مقدار ما أنجزناه.

**[يخرجون**

---

(١٢) المطر هنا يوحي بالدم، كما في أوّل المسرحية على لسان الساحرات الثلاث.

(١٣) التوقيت الدقيق لهذه الجملة يدلّ على المسافة القصيرة بين القتلة وبانكو وابنه. بالإضافة إلى معنى بدء الهجوم.

## المشهد الرابع

## قاعة الاستقبال في القصر

**وليمة ممدودة. يدخل مكبث، الليدي مكبث، روس، لينوكْس. لوردات ومرافقون**

مكبث : تعرفون مراتبكم فاجلسوا وفقها: من العليا إلى الدنيا،
مرحباً بكم من صميم القلب.

لوردات : شكراً لجلالتكم.

مكبث : ونحن سنخالط الحاضرين،
ونلعب دور المضيِّف المتواضع.
أمّا مضيِّفتنا فتبقى جالسة على كرسي العرش،
إلى أن يحين الوقت فنطلب منها الترحيب بكم

الليدي مكبث: أعلنْها عني، يا سيدي، لكافة أصدقائنا؛
لأن قلبي يقول، إنهم على الرحب والسعة.

**يدخل القاتل الأول لدى الباب**

مكبث : **(إلى الليدي مكبث)** أنظري، إنهم يجيبونك بتشكراتهم القلبية
**(إلى الحاضرين)** الجانبان متساويان حول الطاولة
سأجلس هنا في الوسط.
متّعوا أنفسكم غاية التمتع، برهة، وسنشرب
مقداراً من النبيذ، ونمرّره على الجميع **(يذهب إلى القاتل)**
ثمة دم على وجهك!

قاتل : إنه دم بانكو إذن

مكبث : خير له أن يكون خارجك، من أن يكون داخله.
هل نفيتَه عن هذه الدنيا؟

قاتل : يا مولاي، قطعت حنجرته
هذا ما فعلته به.

مكبث : أنت أفضل قاطع حناجر
مع ذلك فبارع من فعل نفس الشيء لفليانس
فإذا كنت أنت الذي فعلتَ، فإنك أفضل من كل الآخرين.

قاتل : يا أعلى سيّد ملكي، هرب فليانس.

مكبث : **(جانباً)** إذن ستعود حمّى مخاوفي من جديد: لولاه
لكنت في أتمّ صحة
متيناً كالرخام، ثابتاً كالصخرة،
حرّاً وغير مقيّد كالهواء المحيط بنا
ولكني الآن محاصر، محجوز، سجين، مقيَّد
بشكوك ومخاوف قاصمة **(إلى القاتل)** ولكنَّ
بانكو سليم؟

قاتل : نعم، يا سيدي الكريم، سليم في حفرة يستريح
مع عشرين جرحاً عميقاً في رأسه
أصغرها كافٍ لقتل أي شيء حيّ(١٤).

---

(١٤) للأسف يترجم بعض المترجمين العرب كلمة NATURE بـ «الطبيعة» وهي كذلك، ولكنّها في نصوص شكسبير تعني: الحياة وتفرعاتها، كما في هذا السطر. (انظر المقدمة)

مكبث : شكراً على ذلك،

مكبث : **(جانباً)** هناك يرقد الأفعى البالغ،

أما الأفعى الصغيرة التي هربت

فلها حياة تولّد فيها السمّ في الوقت المناسب،

ولكنها بلا أنياب الآن. **(إلى القاتل)** إذهبْ؛ وغداً

سأسمع أخبارك مرة ثانية حينما أكون وحيداً.

**[يخرج القاتل**

الليدي مكبث: يا سيّدي جلالة الملك

أنت لا تقوم بالترحيب.

كأنما الوليمة، إذا لم يتكرّر فيها الترحيب مراراً

أثناء الأكل، ليست تكريماً

من الأفضل للمرء أن يأكل في البيت من أن يأكل في حفل كهذا.

إنّ ما يطيّب اللحم هو الاحتفاء؛

وبدونه يبات الاجتماع فارغاً.

مكبث : يا لافتة نظري الحلوة! ـ

والآن، الهضم تصاحبه الشهية،

والعافية لكم في كليهما!

لينوكس :أيودّ جلالتكم الجلوس؟

مكبث : لو كان شخص بانكو الكريم الذي نعتزُّ به حاضراً هنا،

لكان كل شرفاء البلد الآن تحت سقفنا.

**يدخل شبح بانكو ويجلس على كرسي مكبث**

بانكو الذي آمل أن ألومه على جفاء الحفل
أكثر مما أعطف عليه من طارىء وقع له.

روس : غيابه يا سيدي
يوقع اللوم على وعده. هلاّ يا جلالة الملك
نتشرف بصحبتكم الملكية؟

مكبث :ما من كرسيّ شاغر.

لينوكس :هنا مكان محجوز، يا سيدي.

مكبث :أين؟

لينوكس :هنا، يا سيدي الكريم. **(ينتبه مكبث إلى الشبح)**
ماالذي يضايق جلالتكم؟

مكبث :مَنْ منكم فعل هذا؟

لوردات : ماذا، يا سيدنا الكريم؟

مكبث : **(إلى الشبح)** لا يمكنك أن تقول أنا الفاعل(١٥).
لا تهزَّ إليّ برأسك المدمّى الشعر، أبداً.

روس : أيّها السادة، إنهضوا، فجلالته على غير مايرام.

الليدي مكبث: أجلسوا، أيّها الأصدقاء المبجّلون. كثيراً ما يكون
سيّدي في حالة كهذه، ومنذ شبابه. أرجوكم
إبقوا في كراسيكم:
النوبة موقتة، وفي برهةٍ سيعود كما كان.

---

(١٥) أي أنه لم يقم بقتله شخصياً.

فإذا اهتممتم به كثيراً فإنكم
ستسيئون إليه وتطيلون نوبته.
كُلوا، ولا تهتموا به (**إلى مكبث**) أتدعو نفسك رجلاً؟

مكبث :نعم، ورجلاً مقداماً له جرأة النظر(١٦)
إلى ما قد يُرعب الشيطان.

الليدي مكبث: آ، كلام مناسب!
هذا ما صوّره لك خوفك:
هذا هو الخنجر المحمول في الهواء، الذي
قلتَ، قادك إلى دنكن. أوه، تلك السورات والنوبات
وهي خدّاعة بالمقارنة إلى الخوف الحقيقي، تليق تماماً
بامرأة تروي قصة قرب نار الشتاء
حكتْها لها جدّتها. يا للعار!
لماذا أنت مكتئب هكذا؟ إذا قلّبت الأمور
فإنك إنما تنظر إلى مقعد.

مكبث :أرجوك، أنظري هناك! أبصري! عايني! يا للعجب! ماذا تقولين؟
ما همّني؟ (**إلى الشبح**) إذا كنت لا تستطيع أن تنود رأسك تتكلم أيضاً. ـ

---

(١٦) من هنا وحتى دحول الشبح، يصوّر شكسبير ارتباك مكبث عن طريق حاسة البصر. حيث بدأ مكبث اعتباراً من هذه الأبيات يعاني من تضليل عينيه له، بما تصورانه له من أوهام وأشباح بصورة أكثر حدة من ذي قبل.

إذا كان لابدّ لمباني حفظ الجثث، وإذا كان لابدّ
للقبور من بعث
هؤلاء الذين دفناهم، فلتكن مِعَدُ
الطيور الجارحة هي القبور(١٧)

[يختفي الشبح

الليدي مكبث: ماذا، تفتقر تماماً إلى الرجولة في الحمق؟
مكبث :رأيته بوضوح، كوضوح وقوفي هنا.
الليدي مكبث: تعساً، يا للعار!
مكبث :لقد سُفِكَ دم من قبل، في الزمن القديم،
قبل أن تطهّر الشريعة الإنسانية المجتمع؛
نعم، ومنذ ذلك الحين أيضاً، اقترفت جرائم
وقعها على الأذن مرعب جداً: كان ثمة زمن
حينما يمزّق فيه الدماغ أرباً، يموت الإنسان،
وهناك نهايته؛ ولكنهم الآن يخرجون ثانية،
مع عشرين جرحاً قاتلاً في رؤوسهم،
ويدفعوننا عن كراسيّنا. إنّ هذا أكثر غرابة
من جريمة كهذه.
ليدي مكبث: سيدي الموقّر،
أصدقاؤك النبلاء يفتقدونك.

---

(١٧) جاء في حاشية طبعة «آردن»، أنه حينما مات نبوخذ نصر، رمى ابنه جثته إلى الغربان لتأكله خشية أن يعود والده إلى الحياة بعد الموت. وهكذا يكون المعنى: حتى نمنع الأموات من العودة من القبور، علينا أن نطعمهم إلى الغربان لتلتهمها.

مكبث: (**إلى الليدي مكبث**) إنني أنسى.

(إلى اللوردات) لا تتعجبوا يا أصدقائي الأعزاء؛

فلديَّ ضعف غريب، هو لا شيء

لهؤلاء الذين يعرفونني. هيا الحب والصحة للجميع؛

بعدئذٍ سأجلس. ـ أعطني نبيذاً: املأه إلى الحافة:

ـ

أشربُ نخب البهجة الشاملة لكل الذين حول الطاولة،

ونخب صديقنا العزيز بانكو، الذي نفتقده؛

ليته كان هنا.

**يعود الشبح**

نخبكم، ونخبه، نشرب

وكلّ التمنيات لكم جميعاً

لوردات: نشرب ولاءً لك، ونخب ما اقترحتم.

مكبث: (**إلى الشبح**) إبعدْ، واغرب عيني! دع التراب يخفيك!

عظامك بلا مخّ، دمك بارد.

لاوعي في هاتين العينين

اللتين تحدّق بهما.

الليدي مكبث: (**إلى اللوردات**) اعتبروا هذا، أيّها النبلاء،

مجرّد عادة، لا غير؛

إنه فقط يفسد متعة الناس.

مكبث :ما يجرؤ عليه إنسان، أجرؤ عليه أنا.
إذا دنوتَ مثل دبّ روسي فظّ
أو كركدن ذي جلد قوي كالدرع أو مثل نمر هرقاني[١٨]
اتخذ أيَّ شكل، إلاّ شكلك، فلن ترتجف
أعصابي القوية: أو عُدْ حياً كرّة أخرى،
ونازلني في الصحراء بسيفك؛
فإذا عرتني رجفة في ذلك الحين،
فأنني طفلة صغيرة[١٩]. إليك عني، أيها الشبح المرعب!
أيها المظهر الكاذب، إليك عني!
[يختفي الشبح
هكذا، مادام قد ذهب
فإنني رجل مرة أخرى. أرجوكم، أبقوا جالسين.
الليدي مكبث: **(إلى مكبث)** لقد قتلت الفرح وأفسدت الاحتفال،
بأكثر التشوشات غرابة.
مكبث :أيمكن أن توجد أشياء كهذه
تجلب الكآبة مثل سحابة صيف،

(١٨) كانت منطقة في بلاد فارس القديمة.
(١٩) يعتقد كثير من الشرّاح أن في هذا المقطع عيوباً، كما أنهم يختلفون في تفسير التعبير: THE BABY OF A GIRL. فقسم يعتقد أنه يعني دمية، أو طفلة صغيرة. ولكن تفسيره بالدمية ضعيف لأنها لا تشعر فهي لا تخاف ولا ترتجف.

دون أن تثير فينا اندهاشة غريبة؟ تجعلني غريباً حتى
عن شخصي.
عندما أفكّر الآن، إن باستطاعتك أن تري مشاهد
كهذه
وتحتفظي بالياقوت الطبيعي في خديك
بينما خداي يبيضان من الخوف.

روس : أية مشاهد، يا سيدي؟

الليدي مكبث: (إلى اللوردات) أرجوكم، ألا تتكلموا، حالته
تسوء أكثر فأكثر؛
السؤال يغيظه. على الفور، ليلة سعيدة:
لا تلتزموا بأصول المراتب لدى مغادرتكم
غادروا على الفور.

لينوكس :ليلة سعيدة، وصحّة أفضل لجلالته!

الليدي مكبث: ليلة سعيدة طيبة لكم جميعاً!

**[يخرج اللوردات والمرافقون**

مكبث : سيورثُ الدم، يقولون، الدم يورث الدم:
لقد عُرِف عن الأحجار أنها تتحرك، والأشجار تنطق؛
التنبوءات وقرائن الطبيعة، تكشف بواسطة
العقائق، والغربان، والغدفان
عن أكثر القتلة اختفاءً. ما الوقت؟

الليدي مكبث: بين بين. الليل والصباح يتنازعان.

مكبث : ماذا تقولين عن رفض مكدف لإطاعة أمرنا العاجل؟

الليدي مكبث: هل أرسلت في طلبه، يا سيدي؟

مكبث :أُخبرتُ عرضاً، لكنني سأرسل في طلبه. ما من أحد

من النبلاء، إلاّ وتركتُ خادماً مخبراً عنه في بيته. سأذهب غداً ـ

ومبكراً سأذهب إلى «الأخوات الغريبات»:

سأطلب منهنّ مزيداً من الكلام، لأنني الآن عازم على معرفة

الأسوأ، بأسوأ الوسائل. فمن أجل مصلحتي الشخصية

يجب أن تتراجع أمامها كل الاعتبارات الأخرى: لقد خضت

في الدم[٢٠] بعيداً، وحتى لو لم أمضِ أبعد،

فإن الرجوع صعب مثل، المضيّ إلى الضفة الأخرى.

أشياء غريبة تدور في رأسي، ستنتقل إلى يدي،

يجب تنفيذها قبل التفكير بها.

الليدي مكبث: إنك بحاجة إلى النوم[٢١] وهو العنصر الحافظ لكلّ المخلوقات.

مكبث :هيّا بنا، سننام. ما خداعي الغريب لنفسي إلاّ

خوف المستجد الذي يحتاج إلى الممارسة ليتعود المشاقّ.

مازلنا بعد غريرَيْن في الجريمة.

---

(٢٠) صُوِّر الدم هنا، على أنه نهر.

(٢١) صُوِّر النوم هنا على أنه مثل مادة كيمياوية أو ملح لحفظ اللحم.

## المشهد الخامس

## المرجة

## رعد. تدخل الساحرات الثلاث، يلتقين بهكاته

ساحرة ١ :مادهاك يا هكاته؟ تبدين غاضبة.

هكاته :أليس لديَّ مبرِّر، عجائز كما أنتنَّ،
صفيقات، وقحات؟ كيف تجرأتنَّ،
على التعامل مع مكبث،
بالألغاز وشؤون الموت؛
وأنا ربّة رقاكنَّ،
والمدبّرة السريّة لكلِّ الأذيات،
ولم أُدْعَ مطلقاً للقيام بدوري،
أو إظهار عظمة فنّنا؟
وما هو أسوأ، إنَّ كل ما فعلتُنَّ
هو لرجل عنود،
حقود، وذي ضغن، وهو كما الآخرين،
يستعملكنَّ لأغراضه الشخصية، وليس حبّاً بكنَّ،
فَلتدفعنَّ جزاء ما سببتنَّ من أضرار: إذهبن بسرعة
إلى المكان العميق في نهر الجحيم «آكرون»[٢٢]

---

(٢٢) أحد الأنهار في العالم السفلي في الميتولوجيا الأغريقية.

قابلنني في الصباح: سيأتي
إلى هناك ليعرف ما مصيره
هيِّئنَ أوانيكنَّ ورُقاكنَّ
وتعاويذكنَّ وكل شيء لازم
سأذهب طائرة، وسأقضي هذه الليلة
أهيِّىء لغاية مروّعة مهلكة:
عمل جسيم يجب أن يُنجز قبل الظهر
هناك على ركن من القمر:
عُلِّقت قطرة ضبابية ثقيلة[٢٣]؛
سأمسك بها قبل سقوطها على الأرض: فإذا طُهِّرت بفنون السحر
ستُخرج أشباحاً ماكرة
وبقوّة خداعها المضلل للبصر
ستجرّه إلى الفوضى
سوف يسخر من القدر، ويستخف بالموت، ويبقى
في أملٍ رغم إنذارات الحكمة والشرف والخوف؛
وكما تعرفن جميعاً،
إن الثقة العالية بالنفس
ألدُّ أعداء البشر.

(٢٣) رغوة يسفحها القمر على بعض الأعشاب، عندما تجتذب بالسحر.

**أغنية في الخارج: «تعالي، تعالي»، الخ**

سمعاً! لقد دُعيتُ. جنيتي الصغيرة، ألا ترين،

تجلس في سحابة مضبّبة تنتظرني.

**[تخرج**

ساحرة ١ :هيّا، تعجلا: ستعود كرّة أخرى بعد قليل.

**[يخرجن**

## المشهد السادس

## (في مكان ما باسكتلندا)

## يدخل لينوكس ولورد آخر

لينوكس: كلماتي السابقة تنسجم، مع أفكارك،
ولك أن تؤولها أكثر. أقول فقط
إن الأمور دُبِّرتْ بصورة غريبة. لقد أشفق
مكبث على دنكن الطيب: قسماً بمريم، كان ميتاً!
وبانكو الشجاع خرج متأخراً تماماً في الليل[٢٤]!
وقد تقول، إذا شئت، إن فليانس قتله،
لأن فليانس هرب. يجب ألا يخرج الرجال متأخرين
تماماً في الليل
هل هناك أحد لا يفكّر بما بلغت به الوحشية
حتى يقتل مالكولم ودونالبين
أباهما؟ يا للجريمة اللعينة!
كم أحزنت مكبث! ألم يقتل، على الفور،
في غضبة نابعة من الولاء، المجرميْن اللذيْن
كانا عبديْن للشراب، وخادميْن للنوم؟
ألم يقمْ بذلك بشهامة؟ بلى، وبحكمة كذلك؛
لأن كلَّ قلب حيّ سيغضب
لو سمع الرجليْن ينكران فعلتهما. لذا، أقول

---

(٢٤) يعتقد إلس ـ فيرمور أن معنى خفياً في هذه الجملة هو «عاش طويلاً».

إنه ساس كل شيء على خير ما يرام؛ وإنني لأعتقد
إنه لو وضع ولديْ دنكن تحت رقابته
(ولن يفعل، إذا كانت تلك مشيئة الله) لوجدا
ما جزاء مَنْ يقتلْ أباه، وكذا فليانس
لكن، صمتا! فمن كلماته الصريحة، ولأنه
عجز عن حضور وليمة الطاغية، فإنني أسمع
أن مكدف يعيش في خزي. هل تعرف، يا سيدي أين
يقيم؟

لورد : ابن دنكن الذي
يمنع عنه هذا الطاغية حقّه في العرش،
يعيش في البلاط الإنكليزي ويلقى من ادوارد
أكثر الملوك ورعاً، عطفاً كبيراً، لدرجة
أنَّ حِقدَ الحظ عليه في فقدان التاج
لم يقلّلْ قط مما يُقدَّم له من احترام عالٍ.
إلى هناك ذهب مكدف ليرجونَّ الملك الورع
لتقديم العون له بتحريض إيرل نورثمبرلاند والمحارب
سيوارد
فبمساعدتهما ـ وعون الله في السماء للتصديق على
العمل ـ
قد نعود مرّة أخرى إلى احتفالاتنا المفتوحة
والنوم في الليل، غير مقيّدين
بالسكاكين الدامية في ولائمنا ومآدبنا.

نقدم الولاء الأمين، ونتلقى التكريمات الحرّة بحق
وهي التي نتوق إليها جميعاً الآن. وهذا النبأ
أغاض الملك لدرجة راح معها
يستعد لمحاولة حربية.

لينوكس : هل بعث رسولاً إلى مكدف؟

لورد : أجل: مع جواب قاطع «سيدي، لا»
أدار الرسول المضطرب ظهره
وغمغم كأنه يقول، «ستندم على الزمن
الذي حمّلتني فيه بهذا الجواب».

لينوكس: وقد يكون تصرّف الرسول
تحذيراً له ليبتعد عن مكبث
بما وسعته حكمته. ليت ملاكاً قدسياً
يطير إلى ملك انكلترا، ويكشف
عن رسالته قبل وصوله، ليت بركة عاجلة
تعود حالاً إلى بلدنا المعذّب هذا
تحت يدٍ ملعونة!

لورد : أبعث معه دعواتي.

**[يخرجان**

# الفصل الرابع

## المشهد الأوّل

## بيت في فورس. مرجل كبير يغلي رعد. تدخل الساحرات الثلاث(*)

ساحرة ١: ماءت القطة المقلّمة بالألوان ثلاث مرات(١)

ساحرة ٢: ثلاثاً، ومرّة جأر القنفذ

---

(*) الساحرات الثلاث يغنين، ويذكرن ماالذي يستعملنه في السحر. يدخل مكبث لاستشارتهنّ مرة ثانية. تستحضر الساحرات، ثلاثة أطياف للإجابة عما يريد مكبث أن يعرفه عن المستقبل. الطيف لأول وهو على شكل رأس مدحج، يحذره من مكدف. أراد مكبث أن يعرف المزيد عن هذا، ولكن الطيف يمتنع عن الامتثال للأوامر. الطيف الثاني وهو على شكل طفل مغطى بالدم، يطمئن مكبث على حياته ويقول له لا تخف فما من رجل ولدته أمّه يستطيع قتلك. أما الطيف الثالث وهو على شكل طفل وفي يده شجرة، فيقول إن مكبث لا يُدحر إلا إذا تحركت غابة بيرنام إلى حمل دنْسِينانْ. لم يكتف بذلك وإنما أراد أن يعرف مَنْ سيكون الملوك في المستقبل· أولاده أم أولاد بانكو. وهنا كذلك موكب لثمانية ملوك، يحمل أخيرهم مرآة تعكس كثيرين غيرهم، يليهم شبح بانكو. هؤلاء هم ملوك اسكتلندا في المستقبل وهم ورثة بانكو. تختفي الساحرات، فينادي مكبث، لينوكس الذي كان ينتظر على مبعدة، ويخبره عن هروب مكدف إلى إنكلترا، يقسم مكبث أنه من الآن فصاعداً، لن يتردد في تنفيذ ما يفكر به، أي أنه يجعل الفكرة والتنفيذ في آن واحد. يقرر مكبث قتل عائلة مكدف الذي تركهم خلفه باسكتلندا.

(١) يتكرر الرقم (٣) مرّة أخرى وقد بدأت المسرحية به.

ساحرة ٣: البومة[٢] تعلن! حان الوقت، لنبدأْ

ساحرة ١: هيّا دُرْنَ هيا حول المرجلْ
وارمين الأحشاء المسمومة فيه
هات العلجومة
تحت الحجر البارد قد رقدتْ
ليلاً ونهاراً يوماً وثلاثين
عرقتْ سماً وهي تنامُ
انسلقي أوّل شيء في مرجلنا المسحور.

الجميع : زيـــدي زيـــدي جـــهـــداً أطـــول
يـا نـار اشـتـعـلـي واغـلِ يـا مـرجـلْ

ساحرة ٢: شريحة أفعى مستنقعٍ لزجة
فوّرنها وحمّصنها في المرجل،
عين سمندل الماء، وإبهام ضفدعة،
وَبَرُ خفّاش، ولسان كلب،
ولسان مزدوج لأفعى سامّة،
وزباني دودة عمياء،
وساق سحليّة وجناح بومة فرخة،
لرقية قوية البلاء

(٢) يظنُّ بعض الشرّاح أن: HARPIER محرّفة من HARPY وهو في الميثولوجيا الإعريقية وحش مجنح له رأس امرأة ونهدان. وقد فضّلنا ترجمتها بـ «البومة» لأنها ذكرت عدة مرات في المسرحية كنذير للشؤم.

مثل حساء جهنميّ ثخين، إغلِ أيها المرجل وبقبقْ.

الجميع :زيــــدي، زيــــدي جــــهـــــداً أطــــولْ
يــا نــار اشــتــعــلــي واغـــلِ يـــا مـــرجـــلْ

ساحرة ٣: حراشف تنّين، سنّ ذئب؛
مسحوق مومياء الساحرات[٣]، كرشة وبطن
قرش مفترس مالح بملح البحر؛
جذر نبات الشوكران السام، مقتلع في الظلام؛
كبد يهودي يجدّف على الله،
مِرّة معزى، وفروع من شجرة الطقسوس
قُطِعت عند خسوف القمر؛
أنف تركي، وشفتا تتريّ؛
أصبع مولود اختنق أثناء الولادة،
في خندق ولدته مومس:
أضيفي كذلك أحشاء نمر
لمقومات الرقية في مرجلنا

الجميع :زيــــدي، زيــــدي جــــهـــــداً أطــــول
يــا نــار اشــتــعــلــي واغـــلِ يـــا مـــرجـــلْ

ساحرة ٢: برِّدْنها بدم سعدان:
عندئذٍ تكون الرقية نهائية وجيّدة

(٣) دواء تحضّره الساحرات مع مسحوق مصنوع من مومياء.

**تدخل هكاته**

هكاته :آ، عال العال! أقدِّر عناءكنَّ
وكل واحدة ستأخذ حصّتها من المكاسب
والآن حول المرجل غنّين
مثل الجنّ والعفاريت في حلقة
وسأضع السحر في كلِّ ما وضعتنَّ

**موسيقى وأغنية «الأطياف السوداء»، الخ**

ساحرة ٢: بالألم الحاد في إبهاميَّ،
استدلّ بقدوم شيء ما خبيث(٤).

**[طرق**

انفتحي أيتها الأقفال
ولا همَّ من يطرق

**يدخل مكبث**

مكبث : ماذا الآن، يا عجائز خبيثات غامضات
ما الذي تصنعن من رقى في منتصف الليل؟
الجميع : شيئاً لا آسم له.
مكبث : أتوسل إليكنَّ، بما تمتلكن من مهارات
ولا همَّ كيف تعلمتنه، أجبنني:

---

(٤) الساحرات قادرات على التبؤ بما سيحدث من حكّات في مختلف أقسام أجسادهن.

حتى لو فككتنَّ عقال الرياح[٥]، وجعلتنّها
تقاتل الكنائس، حتى لو أن الأمواج المزبدة
تحطِّم وتبتلع السفن
حتى لو أن السنابل الخضر خُرِبت ونزلت إلى الأرض
واقتلعت الأشجار
حتى لو أن القلاع تسقط على حُماتها
حتى لو أن القصور والأبراج حنتْ
رؤوسها إلى أساسها. حتى لو أن
بزور الحياة سقطت واختلطت كلها
حتى إلى أن يتعب الدمار من التدمير
أجبنني عما أسأله.

ساحرة ١: تكلمْ.

ساحرة ٢: أطلبْ.

ساحرة ٣: سنجيب.

ساحرة ١: قل، أتريد سماعه من أفواهنا
أم من أسيادنا

مكبث : ادعينهم، دعيني أراهم.

---

(٥) يذكّر جي. كي هنتر بما جاء في رؤيا حنّا اللاهوتي - الإصحاح السابع: (١): «وبعد هذا أربعة ملائكة واقفين على أربع روايا الأرض ممسكين أربع رياح الأرض لكي لا تهب ريح على الأرض ولا على البحر ولا على شجرة ما...» إلا أنّ هذا التذكير بالاقتباس هنا، في غير محلّة كما يبدو. لأن الصورة التي رسمها مكبث عير دينية أولاً، ولأنها تتماشى مع المعتقد القائل بأن الرياح إنما يسيّرها السحرة. ثم أن الرقم (٤) لم يُذكر في المسرحية وبالتالي ليست له أية دلالة.

ساحرة ١: إسكبن دم خنزيرة أكلتْ
صغارها التسعة، وارمين في اللهيب
دهناً أفرزته شجرةٌ شُنِق عليها القاتل[٦].
الساحرات الثلاث معاً: تعال، كائن مَنْ تكون،
أرنا بشطارةٍ نفسك ومآثرك.

**رعد. الطيف الأول، رأس مدجّج**

مكبث : أخبرني، يا ملكاً مجهولاً -

ساحرة ١: يعلم ما يشغلك
اسمع ما يقول، لكنْ لا تقلْ شيئاً.
طيف ١: مكبث! مكبث! مكبث! إحذرْ من مكدف
إحذرْ من سيد مقاطعة فايف! إصرفوني - كفى.
**[يغادر**
مكبث : أيّاً كنتَ، فتشكراتي على تحذيرك الوجيه:
لقد حدستَ ما أخشاه من خطر، بدقة، لكن كلمة واحدة أخرى -
ساحرة : لن يأتمر أكثر. هوذا آخر
أشدّ قوة من الأوّل.

**رعد. طيف ثانٍ، طفل مدمّى**

طيف ٢: مكبث! مكبث! مكبث! -

---

(٦) كان القتلة يُشنقون على الأشجار.

مكبث : لو كانت لي ثلاث آذان، لسمعتك.

طيف : كن سفّاكاً، وجريئاً ووطيد العزم: أضحكْ وأحتقرْ
قوة أي رجل، فما من أحدٍ ولدته أمّ
سيؤذي مكبث.

**[يغادر**

مكبث : إذنْ، عشْ يا مكدف، ماالذي يحوجني للخوف منك؟
مع ذلك فسأجعل اليقين بيقينيْن
وأضمن وعد القدر واقتل مكدف
حتى أقول للخوف الشاحب القلب أنت تكذب[٧]
وأنام رغم الرعد.

**رعد. طيف ثالث، طفل على رأسه تاج وفي يده شجرة**

مَنْ هذا
الذي يبرز مثل طفلٍ من نسل ملوكي
ويلبس على جبينه الطفولي التاج.

الساحرات الثلاث: إصمتْ، ولا تكلّمْه.

طيف ٣: كنْ شجاعاً كالأسد، تياهاً، ولا تهتمّ
بمَنْ يُغضبك، بمَنْ يزعجك، أو في أي مكان هم المتآمرون:
فمَكبث لن يندحر أبداً، إلى أن تأتي
غابة «برنام» العظيمة
إلى قلعة «دنسينان» العالية لتحاربه.

---

(٧) أي لا مبرّر لوجودك.

[يغادر

مكبث : ذلك محال

مَنْ يستطيع إجبار الغابة على مشاركة الجيش،
مَنْ يستطيع أمر الأشجار
باقتلاع جذورها العميقة؟ بشائر سعيدة! تماماً!
أيّها الأموات المتمردون لن تقوموا أبداً، إلى أن
تتحرك غابة «برنام» ومكبثنا العالي المقام
سيعيش دورة حياته، يسدّد بنَفَسِهِ
عقده مع الحياة، للزمن والموت. مع ذلك
فإن قلبي يدقُّ لمعرفة شيء واحد. إذا كان لفنكنَّ
القدرة على إخباركنَّ هذا القَدْر الكبير
فهل لكنَّ أن تخبرنني هل ستحكم
ذرية بانكو في هذا البلد يوماً؟

الساحرات الثلاث: لا تطلب معرفة المزيد

مكبث : يجب أن أعرف! إمتنعْنَ عن هذا
ولعنة أبدية تنزل عليكنَّ. دعنني أعرف ـ
لماذا يخمد غليان المرجل؟ وأية موسيقى هذه؟

[مزامير

ساحرة : موكب!

ساحرة ٢: موكب!

ساحرة ٣: موكب!

الساحرات الثلاث: أرِينَ، الموكب لعينيه، وأحْزِنَّ قلبه؛

تعالوا كالأطياف، وعودوا كذلك كالأطياف

**موكب ثمانية ملوك، الأخير في يده مرآة؛ شبح بانكو يتبعهم**

مكبث: (**إلى الملك الأول في الموكب**) أنت أشبه ما تكون بشبح
بانكو: فلتخمدْ

تاجك يحرق مقلتيَّ باللمعان: (**إلى الملك الثاني**)
وشَعَرك، أيّها الملك الذي على رأسه تاج،
يشبه شَعَر الملك الأوّل: ـ

(**إلى الساحرات**) ملك ثالث يشبه سابقه ـ أيتها العجائز القذرات!

لماذا تريينني هذا؟ ـ ملك رابع؟ أخرجا يا عينيَّ من المحجرين،
هل ستمتد سلسلة النسل إلى بوق القيامة؟
وبعد ذلك آخر؟ ملك سابع؟ لن أرى المزيد!
ومع ذلك ظهر الثامن، مَنْ يحمل مرآة
تريني ملوكاً أكثر فأكثر، وأرى بعضهم يحملون
كرتين ذهبيّتين(٨) وثلاثة صولجانات(٩).
مشهد مرعب! والآن أرى أنها حقيقة
لأن بانكو بشعره المضفور بالدم اليابس يبتسم لي
ويشير إليهم على أنهم ذريته.
ماذا؟ أيكون هذا صحيحاً؟

---

(٨) العادة أن تكون بيد الملك كرة ذهبية أثناء التتويج. والكرتان هنا يرمزان إلى أن الملوك سيحكمون انكلترا واسكتلندا.

(٩) رمز إلى انكلترا، اسكتلندا، وأيرلندا.

ساحرة ١: أجل، يا سيدي، كلٌّ هذا يقع.
ولكن لماذا يقف مكبث حائراً هكذا؟
هيّا أيتها الأختان نرفّه عن خاطره
ونعرض أفضل مسرّاتنا
سأسحر الهواء ليغني
بينما أنتما ترقصان رقصكما الغريب
عسى أن يتلطف هذا الملك العظيم فيقول
إن واجباتنا أهل لترحابه.

**موسيقى. الساحرات يرقصن، ويختفين مع هكاته**

مكبث : أين هنَّ؟ أين ذهبن؟
لتكنْ هذه الساعة المدمِّرة
ملعونة إلى الأبد في التقويم!
أدخلْ، يا أنت الذي في الخارج!

**يدخل لينوكس**

لينوكس : ماالذي يشاؤه جلالتكم؟
مكبث : أرأيتَ «الأخوات الغريبات»؟
لينوكس : لا سيدي
مكبث : أما مررْنَ بك؟
لينوكس : لا سيدي، أبداً.
مكبث : يُظَنُّ أن الساحرات يطرن في الهواء؛

واللعنة على كلٍّ هؤلاء الذين يثقون بهنَّ، لقد سمعتُ
خبب خيول. من الذي مرَّ من هنا؟

لينوكس : اثنان أو ثلاثة، يا سيدي، جلبوا
لك خبراً. هَرَب مكدف إلى انكلترا.

مكبث : هرب إلى انكلترا؟

لينوكس : أجل، يا سيدي الكريم.

مكبث : **(على حدة)** أيها التأخير[10] لقد أفسدتَ خططي الرهيبة،
الفكرة الخاطفة لا يلحق بها شيء،
إلا تنفيذها في التوّ. منذ هذه اللحظة
سيكون ما يدور في رأسي من فِكَرٍ
هو ما تقوم به يدي من عملٍ، رأساً.
وحتى في هذا الوقت، ولكي أكلّل
أفكاري بالأعمال، سأفكّر وأنفّذ في نفس الوقت:
سأجهز على قلعة فايف بغتة وأقتل
زوجته، وأطفاله، وكل النفوس التعيسة التي تخلفه
لن أتبجج مثل أحمق، هذه الفعلة سأقوم بها،
قبل أن تبرد نيّتي هذه: لا أطياف مسحورة بعد اليوم ـ

---

(١٠) جاء في النصّ TIME وهي لا تعني عند شكسبير: الزمن دائماً، وإنّما تعني: إمّا. الناس، أو العالم. إلا أنها تُرجمت هنا بـ «التأخير» لأن هذا هو المراد، كما يبدو. لأن في كل الأبيات التالية محاولة من قبل مكبث لقتل التردد والتأجيل من ناحية ولتقصير الفترة الزمنية أو بالأحرى محوها بين الفكرة في الذهن وتطبيقها في اليد. إن محو هذه الفترة تنبيء بالدرجة التي وصل إليها في الطغيان والاستبداد.

**(إلى لينوكس)** أين هؤلاء الرجال؟

هيّا، خذني إليهم.

**[يخرجان**

## المشهد الثاني

## (قلعة فايف. غرفة في قلعة مكدف)

## تدخل الليدي مكدف، وابنها وروس

ليدي مكدف: ما الذي فعله مكدف، حتى يهرب من البلد؟

روس : تجمّلي بالصبر، يا مدام.

ليدي مكدف: ليس لديه شيء منه.

هربه جنون. حتى لو لم نكن خونة في أعمالنا

فإنَّ مخاوفنا تجعلنا نبدو كذلك.

روس : أنت لا تعرفين

إن كانت حكمته أم خوفه.

ليدي مكدف: حكمة! يترك زوجته، يترك أولاده،

قصره، ومِلْكه، في مكان

يهرب هو منه؟ إنّه لا يحبّنا:

يفتقر إلى المشاعر الإنسانية الطبيعية، فالنمنمة الجبانة

وهي أصغر الطيور طرّاً، ستقاتل

البومة، حماية لفراخها في العش.

كلٌّ شيء فَعَله خوفاً، لا حبّاً.

إن حكمته صغيرة كحبّه، إذا كان الهرب

يتعارض مع كلِّ تعليل.

روس : يا قريبتي الأعزّ

أرجوك، تمالكي، أمّا زوجك،
فإنه نبيل، حكيم، حصيف، ويعرف حقَّ المعرفة
التقلبات المفاجئة في هذه الأيام. خير لي ألا أستطرد:
قاسية هي الظروف، حينما نكون خونة،
ولا نعرف نحن أنفسنا ذلك، حينما نؤمن بالإشاعات
من جرّاء الخوف، مع ذلك لا ندري ممَّ نخاف
لكننا نطفو على بحر هائج، ومائج من الخوف
في كلِّ اتجاه، ونتحرك[11] ـ اسمحي لي بالذهاب:
لن أتأخر، سأعود إلى هنا مرة أخرى.
إذا بلغت الأمور أدنى حالاتها تتوقف
أو ترتفع إلى ما كانت عليه[12]. ـ **(إلى ابنها)** يا قريبي الجميل
أدعو لك بالبركة.

ليدي مكدف: أنجبه أب[13]، مع ذلك فهو بلا أب

روس : أنا أحمق تماماً، لو بقيتُ مدّة أطول،

---

(١١) ارتبط تشبيه الخوف هنا بالبحر الذي لا يستقرّ. إن الإشاعات وهي تتردد، وتكرار كلمة الخوف في هذا المقطع وفي كل اتجاه، جعلت الخوف وكأنه أمواج قلقة.

(١٢) يختلف شرّاح شكسبير اختلافاً بيّناً في تفسير هذين البيتين. ولكن يبدو أن «روس» مايزال يأخذ استعاراته من البحر. أيّ أن الموج إذا بلغ قعره يتوقف أو خلاف ذلك يصعد إلى مستواه السابق. وكذلك الحوادث إذا ساءت إلى أقصى ما يمكنها، توقفت عند ذلك الحدّ، وإلاّ فسترجع إلى ما كانت عليه بكلمات أخرى إن الأمور ساءت لدرجة لا يمكن لها أن تسوء أكثر.

(١٣) في النص استعمل الأب فعلاً، وليس في اللغة العربية ما يقابل ذلك.

فسأخزي نفسي (بالبكاء)، وأُقلقك.
أستأذنك حالاً.

[يخرج

ليدي مكدف: **(إلى ابنها)** يا ولدي الصغير، أبوك مات
فما الذي ستفعله الآن؟ كيف ستعيش؟

الابن : كما تعيش الطيور، يا أميّ.

ليدي مكدف: على الديدان والذباب؟

الابن : بما أعثر عليه، أعني. وهي هذا ما تفعله.

ليدي مكدف: يا لك من طائر مسكين! عساك ألا تخشى،
الشبكة، أو الدابوق على الأشجار،
لا الفخّ، ولا المصيدة؟

الابن : ولِمَ أخشاها؟ يا أميّ؟
إنها لم تُنصب للطيور المسكينة.
أبي لم يَمُتْ، رغم ما تقولينه.

ليدي مكدف: أجل، إنه ميّت: كيف تدبّر حياتك بلا أب؟

الابن : بل، كيف تدبّرين حياتك بلا زوج؟

ليدي مكدف: بوسعي أن أشتري عشرين واحداً من أيٍّ سوق

الابن : إذن تشترينهم لتبيعهم مرة ثانيه

ليدي مكدف: أنت تتكلم بكل ما لديك من فطنة طفل، مع ذلك
فإنها غير كافية، ربما هذا كل ما تحتاجه من ذكاء
في هذا الموقف.

الابن : هل كان أبي خائناً، يا أمي؟

ليدي مكدف: أجل، كان

الابن : ما هو الخائن؟

ليدي مكدف: مَنْ يحنث في وعوده.

الابن : هل كل الخونة يفعلون ذلك؟

ليدي مكدف: كل واحد يفعل ذلك خائن، ويجب أن يُشنق.

الابن : ويجب شنق كل الذين يحنثون؟

ليدي مكدف: كل واحد.

الابن : مَنْ يجب أن يشنقهم؟

ليدي مكدف: الرجال الصادقون.

الابن : إذن الكذّابون والحانثون مجانين؛ لأنَّ
هناك قدْراً كافياً من الكذابين والحانثين
لدحر الرجال الصادقين، وشنقهم.

ليدي مكدف: الله في عونك، أيّها القرد المسكين!
ماذا تفعل لتجد أباً؟

الابن : إنْ كان ميتاً، فسأبكي عليه، فإذا لم
تبكي أنتِ عليه، فذاك فأل حسن على
أنْ سيكون لي أب جديد عاجلاً.

ليدي مكدف: أيّها الثرثار المحبوب، أُعجب بكلامك!

**يدخل رسول**

الرسول : أدعو لك بالخير، أيّتها السيدة الطيبة! أنت لا
تعرفينني،
ولو أني أعرف مقامك الرفيع حقَّ المعرفة.

أخشى أن خطراً ما سيدهمك وهو قاب قوسين
فإذا أخذت بنصيحة إنسان عادي
فلا تبقيْ هنا. إذهبي بعيداً مع صغارك!
وأسوأ من ذلك ألا أخطرك بما
سينزل عليك من وحشية قاسية
وهي قريبة جداً منك! لِتَحْمِكِ السماء!
خير لي ألا أبقى مدة أطول.

[يخرج

ليدي مكدف: إلى أين أفرّ؟
ما آذيتُ أحداً، لكنني أتذكّر الآن
حيث كثيراً ما يكون إنزال الأذى محموداً.
أمّا عمل الخير فيعتبر حماقة خطرة أحياناً.
لماذا إذن، واحسرتاه، أهيىء دفاعاً نسوياً
لكي أقول، ما آذيت أحداً؟
ما هذه الوجوه؟

**يدخل قتلة**

قاتل : أين زوجك؟
ليدي مكدف: آمل ألا يكون في مكان غير مقدَّس كلية
حيث يمكن أن يدخله ما هو مثلك ليجده.
قاتل : إنه خائن.
الابن : أنت تكذب، أيّها الوغد المشعر الأذنين(١٤).

(١٤) صوّره وكأنه حيوان متوحش.

قاتل : يا بيضة!

**(يطعنه)**

يا سرء الخيانة!

الابن : قتلني، يا أميّ.

إهربي، أتوسل إليك!

**يموت. تخرج ليدي مكدف وهي تصرخ**

**«قاتل» متبوعة بالقتلة**

## المشهد الثالث(١٥)

## (انكلترا. غرفة في قصر الملك)

## يدخل مالكولم ومكدف

مالكولم : دعنا نبحث عن بقعة منفردة آمنة، وهناك
نبكي فنفرغ قلوبنا الحزينة.

مكدف : دعنا بالأحرى
نمسك بالسيف بقوة، ومثل رجال مخلصين نقف
ونذود عن مسقط رأسينا الذي يخرّ صريعاً. في كل صباح جديد،
أرامل جديدة تصرخ، أيتام جدد يبكون، أحزان
جديدة تلطم وجه السماء، لذا فإنها تُرجع الصدى
وكأنها ترقّ لاسكتلندا، وتصرخ
صرخاتٍ حزينة مشابهة.

مالكولم : سأبكي على ما أؤمن به على أنه حقيقي،
وأؤمن فقط بما أعرفه؛ وما أستطيع أن أصلحه،
ومتى ما وجدتُ الوقت مواتياً، سأفعل.

---

(١٥) هذا هو أطول مشهد في المسرحية، وهو يؤدي عدداً من الأغراض المهمة من حيث البناء:
أ ـ بعد أن صادف مكدف بأنكلترا مالكولم حاول أن يثيره ضد مكبث وللوصول إلى هذا الغرض، وضع صعوبات غير متوقعة فأعترف بأنه هو نفسه فاسق وبخيل، فهو غير صالح لأن يكون ملكاً. كان مالكولم يسعى من وراء تلفيق هذه الأكاذيب عن نفسه، لامتحان ولاء مكدف.
ب ـ وصف ادوارد المعترف.
ج ـ الإعلان عن قتل عائلة مكدف.

ما تكلّمتَ عنه قد يكون كما قلتَ.
هذا الطاغية الذي مجرد اسمه يورّم ألسنتنا،
كان يُظَنُّ في يوم ما شريفاً، لقد أحببتَه حباً جمّاً؛
إنه لم يُصِبْك بأذى بعد، مازلتَ شاباً، وقد تحصل
على شيء منه إذا قدمتني له كخائن، فمن الحكمة
تقديم حَمَلٍ ضعيف، مسكين، برىء،
لاسترضاء غضب إله.

مكدف: أنا لست خائناً.

مالكولم: لكن مكبث خائن.
والإنسان النبيل المستقيم قد يرتد
إزاء أمرٍ ملكي: أطلب عفوك:
أفكاري لا تستطيع أن تغيّر ما أنت عليه:
الملائكة ماتزال مشرقة، ولو أن الأكثرها إشراقاً سقط[١٦].
وعلى الرغم من أن الأشياء الخبيثة كلها ترغب
في لبس تاج الجمال، مع ذلك فيجب أن يبقى الجمال
على ما هو عليه.

مكدف: فقدت آمالي (في دحر مكبث)[١٧].

مالكولم: حتى في هذا بالضبط، ثارت شكوكي ضدّك.
لماذا تركتَ على عجل، زوجتك وطفلك ـ

---

(١٦) أي إبليس، وسقوط إبليس موضوع قصيدة ملتون: «الفردوس المفقود».
(١٧) ما بين قوسين توضيحية للقارىء وليست موجودة في النصّ.

وهما ما يدفعانك إلى العمل، وهما رباطا الحب القويان
بدون أن تودعهما؟ أرجوك،
لا تظن أن شبهاتي هي لوصمك بالعار
أعتبرْها إجراءات لمنجاتي أنا، قد تكون مخلصاً بحقّ
مهما كان ظني بك.

مكدف: أنزفْ، أنزفْ، أيّها الوطن المسكين!
أيّها الطغيان الكبير، أقِمْ أسسك بثبات
لأن الحقّ لا يجرؤ على التحقيق معك.
إلبسْ علامات خبثك علناً،
فقد حقٌّ لك ادعاؤها! وداعاً، أيها اللورد:
لن أكون الوغد الذي تظنّ، حتى لو أُعطيتُ
كلَّ أرض اسكتلندا التي بيد الطاغية،
و«الشرق» الغني، بالإضافة إليها.

مالكولم: لا تكن مغيظاً:
لا أتكلم لأني أشكُّ في إخلاصك.
أنا مؤمن أن وطننا ينوء تحت النير،
إنه يبكي، إنه ينزف؛ وفي كلِّ يوم جديد
يضاف جرح بليغ إلى جراحه. مع ذلك أؤمن،
إن رجالاً سيقاتلون دفاعاً عن حقّي؛
وهنا، قدّم لي ملك انكلترا الطيب
ألوفاً غفيرة من الرجال، لكن بالرغم من كل هذا

فعندما أدوس على رأس الطاغية،
أو أحمله على سيفي، فإن وطني المسكين
ستنزل عليه شرور أكثر من ذي قبل،
سيعاني أكثر، وبطرق مختلفة أكثر
على يد الذي يخلفه

مكدف: أي نوع من الرجال سيكون؟

مالكولم: أنا نفسي، أعني، وفيه أعرف
أنَّ كلَّ أنواع الشرّ مطعّمة[١٨]
وعندما تتفتح، سيبدو مكبث الأسود
نقياً كالثلج، وستعتبره الدولة المسكينة
حَمَلاً، بالمقارنة إلى شروري التي لا حدود لها.

مكدف: ليس في مراتب شياطين جهنم المرعبة
شيطان ملعون أكثر في شروره من مكبث

مالكولم: أتفق معك أنه سفاح، شهواني، طمّاع، زائف
مخادع، متهور، حقود، وفيه أثر
من كل إثم له اسم، لكن ليس هناك من حدّ
لشهواتي. فزوجاتكم، وبناتكم، والنساء المتزوجات العجائز،
وخادماتكم لسْنَ بقادرات على ملء وعاء شهوتي،
ورغبتي ستتخطى كل العوائق التي

(١٨) أي كتطعيم الأشجار. في هذا المقطع صورة نباتية جبلية.

تعترض رغبتي: فخيرٌ أن يحكم مكبث من كذا
شخص مثلي.

مكدف: إن التحلل المنفلت
من طبيعة الإنسان طغيان، كان سبباً
في تجريد الملوك عن عروشهم السعيدة قبل الأوان
وفي سقوط كثير من الملوك. مع ذلك لا تخفْ
أن تجرؤ على ما هو حقّك.
لك أن تدبّر متعك الجنسية سرّاً ما شئتَ
ومع ذلك تبدو بارداً ـ فتستطيع أن تخدع الناس بهذه
الطريقة.
لدينا ما يكفي من النساء الناضجات؛
ومن غير الممكن أن تكون ذلك النسر في داخلك
هذه الكثرة الكاثرة اللواتي يُقدِّمنَ أنفسهن إلى الملك
مالكولم
إذا وجدنه يميل إلى ذلك بشبق.

مالكولم: بالإضافة إلى هذا
ينمو في جبلّتي المصنوعة من عناصر الشرّ
جشع عارم، بحيث لو كنت ملكاً، لقطعت
أيدي نبلاء اسكتلندا لأمتلك أراضيهم؛
ولَطمعتُ بمجوهرات هذا، وبيت ذاك
وستكون رغبتي في تملّك المزيد مثل مرق التوابل
تجعلني أشدَّ اشتهاءً، لذا سألفّق

المعارك بدون سبب عادل ضدَّ الطيّبين والمخلصين
أدمّرهم من أجل أموالهم.

مكدف: هذا الجشع
ينغرز أعمق، ينمو بجذر مُدَمِّر
مثل شهوة قصيرة في صيف العمر[١٩]، وكان
السيف الذي قُتِلَ به ملوكنا. مع ذلك، فلا تَخَفْ
ففي اسكتلندا مؤونات وافرة لملء رغبتك
لك وحدك. كل هذه يمكن حِمْلُها
إذا توازنت مع فضائلك الأخرى[٢٠].

مالكولم: لكن لا أمتلك أية فضيلة: ففضائل من سيكون ملكاً
مثل العدالة، والاستقامة، وضبط النفس،
ورباطة الجأش، والكرم، والعزم، والشفقة، والتواضع
والتفاني، والصبر، والشجاعة والجلد،
لا أثرَ لها في شخصيتي: لكنْ لديَّ تنويعات
على كل أنواع كل جريمة،
أؤديها بطرق عديدة. لو كان بيدي الحكم
لسكبت حليب[٢١] المودة الحلو في الجحيم
أقلب نظام الكون فوضى،

(١٩) ماتزال الصور النباتية مستمرة في هذا المقطع. فالشهوة مثل النباتات الصيفية لن تدوم إلى الشتاء أي الشيخوخة. مع ذلك فالشهوة تنمو أكثر قوة وبجذر مؤذٍ أكثر.
(٢٠) وكأن الصورة هنا كفتا ميزان أو جانبا عِدْل.
(٢١) الحليب في المسرحية يرمز إلى براءة العلاقات الطبيعية، كعلاقة الأم بالطفل.

أدمّر كلَّ وحدة على الأرض(٢٢).

مكدف: آ يا اسكتلندا! يا اسكتلندا!

مالكولم: إذا كان واحد كهذا مناسباً للحكم فليتكلم:
فأنا كما وصفت نفسي.

مكدف: مناسب للحكم؟
لا، غير مناسب لأن يعيش. يا للأمّة التعيسة!
حاكم غير شرعي، صولجانه مدمّى،
متى ترين يا اسكتلندا أيّامك الهانئة مرة أخرى،
مادام الأكثر أحقيّة في ذرية العرش
متهماً نفسه، ولاعناً عائلته. كان والدك،
أقدس الملوك: والملكة التي حملتك،
تحضّر نفسها للموت في كل يوم تعيشه،
فهي على ركبتيها، أكثر من قدميها. وداعاً!
هذه الشرور التي عزوتها لنفسك، جَعَلتني
غريباً عن اسكتلندا. آ يا لقَلبي
لقد مات أهلك هنا!

مالكولم: يا مكدف، عاطفتك النبيلة هذه،
وهي بنت الصدق، مسحتْ عن روحي
الشكوك الخبيثة، ولأمتْ ما بين أفكاري
وصدقك وأمانتك الحقيقيْن.

---

(٢٢) ربما كان المعنيّ بها هنا وحدة الطوائف المسيحيّة.

فمكبث الشنيع، بكثير من هذه الشراك،
جهد لكسبي إلى جانبه، والحكمة المتواضعة
سحبتني من التصديق العاجل: عسى الله
في السماء، يوجّه العلاقات بيني وبينك!
فإنني حتى من هذه اللحظة، أضع نفسي
تحت إمرتك، وأسحب ما قلتُه عن نفسي؛
وأنكر هنا العيوب والاتهامات التي
كِلْتُها إلى نفسي، لأنها غريبة عن طبعي.
لم تعرفني امرأة بعد، لم أحنث بقسم البتة؛
أكاد لا أطمح بما هو ملكي أنا؛
لم أخلفْ وعداً؛ لا أخون
الشيطان لزميله. أحبّ الحقيقة
حبّي للحياة: كذبتي الأولى
هي ما قلتُه عن نفسي. فحقيقتي في الواقع
هي أني تحت إمرتك وإمرة وطني المسكين:
فإلى الوطن المسكين اسكتلندا، وقبل وصولك،
ذهب العجوز سيوارد مع عشرة آلاف محارب
وهم على أتمّ استعداد.
والآن لنذهب معاً، ولتكنِ النتيجة
ناجحة بقدر عدالة قضيتنا!
لماذا أنت صامت؟

مكدف: من الصعب التوفيق بين

أمور صالحة وطالحة كهذه، مرّة واحدة.

**يدخل طبيب**

مالكولم: حَسَنٌ، سنتحدث أكثر فيما بعد.
**(إلى الطبيب)** من فضلك، هل الملك قادم؟

الطبيب: نعم، يا سيدي، فهناك مجموعة من الناس
ينتظرون ليعالجهم: إن أمراضهم دحرت
أكبر العلوم الطبيّة، ولكن بلمسةٍ منه
وقد حَبَتِ السماء يده قوةً مقدسة عظيمة
يشفون في الحال.

مالكولم: أشكرك، أيّها الطبيب.

**[يخرج الطبيب**

مكدف: ماالمرض الذي يعنيه؟

مالكولم: إنه يدعى «داء الملوك»[٢٣]
لدى هذا الملك أكثر المعجزات قدرة
شاهدته منذ مكوثي بانكلترا
يأتي بها. يعرف أكثر من غيره
كيف يكسب قوته من السماء، الناس
المبتلون بأمراض غريبة، وكلّهم متورّمون ومتقرّحون،
ترثي لها العين وتستعصي تماماً على العمليات
الجراحية،

(٢٣) أي سل العدد اللمفاوية.

يشفيها، معلّقاً عملة ذهبية منقوشة بصورته
على رقابهم، مع صلوات مقدسة، وقد قيل،
إنه سيترك إلى خلفه، بركة العلاج.
ويمتلك، مع هذه المزيّة،
موهبة سماوية في التنبؤ، وبركات أخرى
تزيّن تاجه وتظهره مفعماً بنعمة الله.

**يدخل روس**

مكدف: أنظر، شخص ما قادم إلى هنا.
مالكولم: اسكتلندي من بلدي[٢٤]، غير أني لا أعرفه.
مكدف: يا قريبي الدائم النبل، مرحباً بك هنا.
مالكولم: عرفته الآن، عسى الله أن يزيل قريباً
السبب الذي يجعلنا غرباء!
روس: يا سيدي، آمين.
مكدف: هل اسكتلندا كما تركتُها؟
روس: واحسرتاه، يا للوطن المسكين!
إنه يخاف في أغلب الظنّ من أن يعرف نفسه، لا يمكن
أن ندعوه أمّنا، بل قبرنا؛
حيث لم يُرَ أحد يبتسم إلاّ
مَنْ كان لا يدري شيئاً.

---

(٢٤) عرفه من زيّه القومي.

حيث التأوهات، والأنّات والصرخات،
التي تمزّق الهواء، تُطلق ولا ينتبه إليها أحد:
حيث تبدو الفجيعة الشديدة، انفعالاً عادياً.
حين يدقّ ناقوس الموت فمن النادر
أن يُسأل مَن الميت. ويأتي أجَلُ أرواحِ الناس
قبل موت الأزهار في قبّعاتهم[٢٥].
يموتون قبل أن يمرضوا.

مكدف: يا للحكاية
متقنة التفاصيل المزعجة
مع ذلك فهي واقعية جداً (ليس فيها عزاء)[٢٦]

مالكولم: ما آخر فجيعة؟

روس: يصيح السامعون لَمنْ يروي
عن فجيعة عمرها ساعة: صَهْ
فكل دقيقة تلد فجيعة جديدة.

مكدف: كيف زوجتي؟

روس: بخير.

مكدف: وكلّ أطفالي؟

روس: بخير أيضاً.

مكدف: هل.هجم الطاغية على أمنهم؟

---

(٢٥) كانت قبعات الاسكتلنديين تزينها الأزهار.
(٢٦) إضافة توضيحية للقارىء، ليست في النصّ.

روس: لا، فقد كانوا في سلام (أبديّ)[٢٧] حينما فارقتهم.

مكدف: لا تكنْ بخيلاً بكلماتك: ماذا حدث؟

روس: حينما جئت إلى هنا أحمل الأنباء،
وكان حملها صعباً عليَّ، دارت إشاعة
عن كثير من الناس الطيبين وقد أعلنوا
العصيان على مكبث، وقد صدق ما سمعتُ
لأني رأيتُ جيش الطاغية يتقدم.
والآن حانت ساعة العون، **(إلى مالكولم)**
مجرد نظرك إلى الناس باسكتلندا تخلق
منهم جنوداً، وتجعل نساءنا يحاربن
لينزعنَّ عنهنَّ ما يعانين من شدائد مرعبة.

مالكولم: ليكنْ عزاؤهم،
إننا ذاهبون إلى هناك، فملك انكلترا الطيّب
أعارنا سيوارد النبيل، وعشرة آلاف رجل،
ولم يخبرنا العالم المسيحي،
عن جندي أكبر سناً وأفضل من سيوارد.

روس: ليت لي القدرة
لإجابة هذا العزاء بعزاء مماثل.
لديَّ كلمات تودّ لو أنها تولول
في هواء الصحراء، حيث السمع

(٢٧) إضافة توضيحية وهي ما قصدها روس.

لا يستطيع الإمساك بها.

مكدف: ما هي؟
عن القضية العامة؟ أم عن
مصاب شخص بمفرده؟

روس: ما من قلب مخلص
إلاّ ويشاركك في بعضٍ من محنتك
ولو أن القسم الأكبر يهمك أنت وحدك.

مكدف: إذا كانت محنتي
فلا تُخْفِها عنّي. دعني أسمعها بسرعة.

روس: لا تدعْ أذنيك تحتقران إلى الأبد لساني
الذي سيجعلهما يسمعان أحزن صوت
لم يسمعا مثله من قبل أبداً.

مكدف: يا للويل، حزرته.

روس: قلعتك هوجمتْ. زوجتك وأطفالك
ذُبحوا بوحشية. فإنْ أنا رويتُ
كيفية قتلهم، فإنما أضيف مصرعك
إلى مصرع صيد(٢٨) هؤلاء الظبيات.

مالكولم: رحماكِ أيتها السماء!
لا، أيها الرجل، لا تُخْفِ دموعك

---

(٢٨) يستعمل شكسبير هنا كلمة QAURRY وتعني من بين ما تعنيه: الطرائد التي تصاد بواسطة الكلاب والصقور.

بإنزال قبعتك على جبينك،
أعطِ للحزن كلمات، فالفجيعة التي لا تنطق،
إنما تتكلم بصمت مع القلب المثقل
طالبة منه أن يتفطّر[٢٩].

مكدف: وأطفالي أيضاً؟

روس: الزوجة، الأطفال، الخدم،
وكل من عثروا عليه.

مكدف: وكان عليَّ أن أكون بعيداً!
وزوجتي قُتِلتْ أيضاً؟

روس: لقد أخبرتُكَ

مالكولم: جدْ عزاءكَ
برغبتنا في الثأر العظيم، نجعلها
دواء نعالج به هذا المصاب المميت.

مكدف: ليس له أطفال ـ أطفالي الجميلون كلهم؟ ـ
هل قلت كلهم؟ ـ آ، يا طير الجحيم يا مكبث! ـ كلّهم؟
كل كتاكيتي وأمّهم
تنقضّ عليهم انقضاضة واحدة.

مالكولم: قاومْها كرجل.

مكدف: سأفعل ذلك؛

(٢٩) يذكّر كنيث ميور محرر طبعة آردن، بما قاله الفيلسوف الروماني سينيكا: «الهموم الصغيرة تتحدث بطلاقة، والهموم الكبيرة تفطر القلب».

لكن يجب أن أشفق عليها أيضاً كرجل
لا يمكنني إلاّ أن أتذكر أشياء عائلية بهيجة
كانت أغلى ما عندي. ـ هل نظرت السماء
ولم تساعدهم؟ يا مكدف الآثم!
لقد قُتلوا جميعاً من أجلك.
لا لذنوب اقترفوها ولكن لذنوبي أنا
وأنا لا شيء.
أيها الربّ أعطِهم السلام.

مالكولم: ليكن هذا حجر الشحذ لسيفك، دع الحزن
ينقلب إلى غضب؛ لا تجعل قلبك أقلَّ حدّة،
هيِّجه

مكدف: آ، أستطيع أن أقوم بدور المرأة بعينيَّ فأبكي
ودور الرجل المتبجج بلساني! لكن أيتها السماء الحنون
قصّري الزمن بين الآن والثأر،
إجلبي هذا الشيطان الاسكتلندي، وجهاً لوجه معي؛
ضعيه على بعد طول سيفي،
فإذا هرب، فسامحيه أيتها السماء،
وسامحيني (لأني تركته يهرب)(٣٠)

مالكولم: لهذه الكلمات إيقاع رجالي.

(٣٠) إضافة توضيحية، والمعنى أنه يطلب من السماء أن تسامحه لأنه تركه يهرب من أجله المحدد.

تعال، نذهب إلى الملك: جيشنا جاهز؛
لا نحتاج إلى أيِّ شيء، سوى السماح لنا بالذهاب.
مكبث نضج(٣١) ولم يبق إلاّ هزه، والقوى العلوية
تحثُّ ممثليها على الأرض. جدْ عزاء بقدر ما تستطيع؛
طويل هو ليل الحزن الذي لا يجد نهار المواساة أبداً.
[يخرجون

(٣١) شُبِّه مكبث هنا بثمرة ناصجة لا تحتاج إلاّ لهزِّها لتسقط.

# الفصل الخامس

## المشهد الأوّل

### قلعة دنْسينان. في إحدى غرف القصر

### يدخل طبيب ووصيفة[1]

الطبيب: لقد سهرتُ لليلتين وأنا أرقب معكِ، ولكنني لم أرَ صحة ما ذكرتِهِ، متى مشتْ آخر مرّة؟

الوصيفة: منذ أن ذهب جلالته مع جيشه. لقد رأيتها تنهض من فراشها، تلبس ثوب النوم، تفتح خزانتها، تأخذ ورقة، تطويها، تكتب فيها، تقرأها، وبعد ذلك تختمها، ثم تعود إلى فراشها؛ تفعل كل هذا، بينما هي في نوم عميق جداً

(١) مكبث وزوجته الآن في قلعة «دَنْسينان». الليدي مكبث مضطربة العقل بسبب الجرائم التي اقترفتها مع زوجها. لذا فهي تمشي وهي نائمة وتستعيد بالكلمات الحوادث الشنيعة التي مرّت بها، وكان الطبيب يراقبها، فيتوصل إلى أن دماغها وليس جسمها هو المريض. بالإضافة إلى ذلك، فإن الطبيب، كما يقول جي. كي هنتر: «يعزز التركيز على الاختلاف بين التاج الإنكليزي بما له من قوى طبيّة سماوية وبين التاج الأسكتلندي بمرضه المستعصي على الطب.

الطبيب : تشويش كبير في الحياة، أن تنال فائدة النوم، وفي الوقت نفسه، تؤدي أعمالاً تظهرك يقظان. في هذا الاضطراب في النوم، بالإضافة إلى مشيتها، وتأدية أفعال أخرى، هل سمعتِها في وقت ما تتكلم؟

الوصيفة : ذلك، يا سيدي، شيء لن أُعيده بعدها.

الطبيب : يجب أن تعيديه عليَّ، ومن المناسب جداً أن تفعلي.

الوصيفة : لا عليك، ولا على أيٍّ واحد آخر، مادمتُ بلا شاهد ليثبتَ ما أقول.

**تدخل الليدي مكبث، مع شمعة**

أنظرْ:

ها هي قادمة. هذا هو ديدنها بالضبط، وأقسم بحياتي، إنها في نوم عميق.

راقبها؛ إخفِ نفسك.

الطبيب : كيف حصلتْ على ذلك النور؟

الوصيفة : الشمعة قائمة إلى جانبها. النور إلى جانبها على الدوام؛ إنه طلبها.

الطبيب : كما ترين، عيناها مفتوحتان.

الوصيفة : نعم، لكنَّ حسّ البصر فيهما مغلق.

الطبيب : ما الذي تفعله الآن؟ أنظري، كيف تفرك يديها.

الوصيفة : هذا هو ديدنها، تبدو وكأنها تغسل يديها، لقد رأيتها تفعل ذلك لمدة ربع ساعة.

الليدي مكبث: ماتزال ثمّة بقعة هنا.

الطبيب : أسكتي، إنها تتكلم. سأدوّن ما تقوله، لإثبات ما أتذكره بيقين أقوى.

الليدي مكبث: إمّحي، أيتها البقعة اللعينة! إمّحي، أقول لك! دقّة؛ دقّتان[٢]، إذن هذا هو وقت الشروع بالقتل. ـ جهنّم مظلمة[٣] ـ عار عليك، يا سيدي، عار! أجندي وخائف؟ ـ أيجب علينا أن نخاف ممن يعرف فعلتنا، في حين ما من أحد يستطيع أن يحاسبنا عما نفعل[٤]؟ مع ذلك مَنْ كان يظنّ أن في هذا الرجل المسنّ دماً بهذا القدر الكبير.

الطبيب : هل انتبهتِ إلى ذلك؟

الليدي مكبث: لأمير مقاطعة فايف زوجة: أين هي الآن؟ ألا تَنظف هاتان اليدان أبداً؟ كفى من تصرّفك، يا سيدي، كفى من ذلك: إنك تفسد كل شيء بخوفك هذا.

الطبيب : واحسرتاه، واحسرتاه. لقد عرفتِ ما لا يجب أن تعرفيه[٥].

---

(٢) الليدي مكبث تعيش ثانية مشهداً سابقاً (كما في الفصل الثاني ـ المشهد الأول) حين تدقّ الجرس مرة، مرتين.

(٣) تستعيد الليدي مكبث هنا تعبير مكبث، كما مرّ، ولكنها تستعيده لاحتقار جبن مكبث.

(٤) يقول «رشتول» في كتابه «شيكسبير محامياً» (١٨٥٨) ص ٣٧: «يبدو أن الإشارة هنا إلى مبدأ أساسي في الدستور الإنكليزي وهي أن الملك مصون غير مسؤول» (عن كيث ميور ـ طبعة آردن). المقاطع أعلاه تشير إلى القانون كرفض الوصيفة إعادة ما سمعته من الليدي مكبث، وكذلك عدم وجود شاهد لإثبات ما تقول. أضف إلى ذلك تدوين الطبيب لما تقوله الليدي مكبث لإثبات ما سيرويه عنها لاحقاً.

(٥) قد تكون هذه الكلمات موجهة إلى كل من الليدي مكبث والوصيفة.

الوصيفة : لقد تكلّمتْ، بما لا يجب أن تتكلم به، أنا متيقنة من ذلك: والله يعلم بما تعرفه.

الليدي مكبث: هنا ما تزال رائحة الدم، كل عطور العرب لن تطيّب هذه اليد الصغيرة. أوه! أوه! أوه!

الطبيب : يا لها من آهةٍ. القلب مترع بالحزن حتى الثمالة.

الوصيفة : لا أودّ أن يكون لي قلب كهذا في صدري، من أجل المقام العالي للجسم كلّه.

الطبيب : لا بأس، لا بأس، لا بأس.

الوصيفة : لنصلي إلى الله أنها لا بأس بها.

الطبيب : هذا الداء تقصر عنه علومي الطبية. مع ذلك رأيت أولائك الذين يمشون في نومهم، وماتوا في أسرّتهم
بسلام.

الليدي مكبث: إغسلْ يديك، إلبسْ ثوب النوم، لا تبدُ شاحباً شحوباً كبيراً. ـ أقول لك كرّة أخرى، لقد دُفِنَ بانكو: لا يمكنه الخروج من القبر.

الطبيب : حتى لهذا الحدّ من السوء؟

الليدي مكبث: إلى الفراش، إلى الفراش! أسمع قرعاً على الباب. تعال، تعال، تعال، تعال، أعطني يدك. سبق السيف العذل. إلى الفراش إلى الفراش، إلى الفراش.

الطبيب : هل تذهب الآن إلى الفراش؟

الوصيفة : في الحال.

الطبيب: تدور بين الناس إشاعات فيها غمز ولمز. الأفعال غير الطبيعية، تُنجب اضطرابات غير طبيعية: الأذهان
الفاسدة تُفرغ أسرارها على الوسائد الصمّ.
إنها بحاجة إلى كاهن أكثر منها إلى طبيب. ـ
يا ربّ، يا ربّ إغفْر لنا جميعاً! أوصيكِ بعنايتها؛
أبعدي عنها كل وسيلة تؤذي بها نفسها[٦]
أبقيها تحت ناظرك. ـ إذن، طابت ليلتك:
دماغي أربكته، وشوّشتْ بصري.
أفكرّ ولا أجرؤ على الكلام

الوصيفة: طابت ليلتك أيّها الطبيب الطيّب.

**[يخرجان**

(٦) تمهيد إلى إنتحار الليدي مكبث لاحقاً.

## المشهد الثاني
## الريف قرب دنسينان
## يدخل مع الطبول والرايات،
## منتث، كاتنس، آنغس، لينوكس، وجنود(٧)

منتث : الجيش الإنكليزي قريب. يقوده مالكولم،
وعمّه(٨) سيوارد، ومكدف الطيّب.
تشتعل الثارات فيهم، لأنَّ دوافعهم النابعة من صميمهم
تحرّك حتى مشاعر الإنسان الميّتة،
إلى نداء المعركة الدموي الكالح(٩).

آنغس : من الأفضل لنا أن نقابلهم
قرب غابة بيرنام. إنهم قادمون من ذلك الطريق.

كاتنس : مَنْ يدري إن كان دونالبين مع أخيه؟

لينوكس : بيقين أقول، أنه ليس معه، يا سيدي

---

(٧) في هذا المشهد، تستعدّ قوة اسكتلندية متمردة للإنضمام إلى الجيش الإنكليزي بقيادة مالكولم قرب غابة بيرنام. يعلّق دي. أف. ماكربي على المشهد: «تعطي المشاهد القصيرة، الانطباع عن سرعة عمل ومناورة الجيشين. يُعزل مكبث بالتدريج. حتى زوجته عُرضت في هذا المشهد منهارة تحت الضغط، وحين يشتدّ إحكام الحصار، يبات مكبث وحيداً أكثر فأكثر. إن تصويره هنا موازٍ إلى صورة زوجته في المشهد السابق.

(٨) ليس عمه حقيقة. وإنما هي صيغة لمناداة شخص أي شحص غريب. وهي نفس الصيغة التي تستعمل في البلاد العربية مثلاً.

(٩) يختلف الشرّاح في تفسير الأبيات الأربعة أعلاه. ولكن ثمّة تلميحات تساعد في المعنى الخفي يستدلّ بها من كلمة BURN: الاشتعال التي تشير إلى حمّى، ودواء الحمّى في ذلك الزمن، وهو تفصيد الدم. بالإضافة إلى ذلك فثمة اعتقاد سائد زمانئذٍ، مفادهُ أن جثة القتيل تنزّ دماً جديداً في حضور القاتل.

لديّ قائمة بأسماء كلّ الرجال النبيلي المحتد:
معه ابن سيوارد،
وشباب مُلْطٌ كثيرون، لدرجة أنهم
يعلنون الآن فقط رجولتهم الأولى.

منتث : ماذا يفعل الطاغية؟

كاتنس : حصّن دنسينان العظيمة بقوة
يقول عنه بعضهم إنه مجنون، وآخرون أقل كرهاً له
يدعونها حماقة شجاعة، لكنه بالتأكيد
لا يستطيع أن يثبّت دعواه الآخذة بالانتفاخ
في إبزيم حزام حكمه[١٠].

أنغس : والآن يشعر
أن الدماء التي سفحها سرّاً ملتصقة بيديه؛
وفي كل دقيقة الآن تمرّدات تعاتبه على نكثه للعهد.
هؤلاء الذين يتقدمون إنما يتبعون الأوامر
وليس عن حب قطّ. والآن هل يشعر أن حقه في العرش
أصبح فضفاضاً، مثل لباس عملاقٍ.
على لصّ قزم.

منتث : مَنْ إذن يلوم
أعصابه المضطربة إن هي وثبت إلى الوراء وجفلت،

---

(١٠) أي أن دعواه الكاذبة انتفخت كبطن مريض بالإستسقاء فلا يستطيع شدّ حزامه. العريب أن ربط الكذب بانتفاخ البطن مايزال جارياً في المعتقدات العراقية مثلاً.

عندما يلعن كلٌّ ما في داخله نَفْسهُ
لأنه موجود هناك.

كاتنس : حَسَنٌ، لنمض
ونقدم الطاعة لمَنْ هو أهل لها.
ونلتقي بعقّار البلد المريض(١١).
ومعه نضحي، في سبيل تطهير الوطن،
بكل قطرة من دمنا.

لينوكس : أو بقدر ما يكون ضرورياً
لسقي زهرة العقّار، والتخلص من الأعشاب الضارّة.

[يخرجون بمشية عسكرية

(١١) أي الذي سيطبّب البلد، بعد مرض الليدي مكبث العقلي ومرض مكبث في السلوك، تتطور الصورة التعرية إلى مرص البلاد. ويستدلّ عليه بالتفتيش عن علاج من الكلمات «نصحي» و«تطهير» «دمنا».

## المشهد الثالث

## دنسينان، غرفة في القلعة

**يدخل مكبث، وطبيب، ومرافقون[١٢]**

مكبث: لا تأتِني بأخبارهم بعد الآن، دعْهم يهربون جميعاً.
لن أتعفّن بالخوف إلى أن تتحرك
غابة بيرنام إلى دنسينان. مَنْ هذا الصبي مالكولم؟
ألمْ تلده امرأة؟ الأطياف التي تعرف
كلَّ ما يحدث للبشر في المستقبل، قالت لي:
«لا تخف يا مكبث فما من رجل ولدته امرأة
سيتغلب علينا.» ـ إذن اهربوا أيّها الأمراء الخونة
وخالطوا الأبيقوريين[١٣] الإنكليز:
العقل الذي يوجه أعمالي والقلب الذي أحمل
لن يهن ولا يرتجف من الخوف مطلقاً

**يدخل خادم**

مسخك الشيطان لعيناً أسود أيها المبيّض الوجه من الخوف
من أين جئت بتلك السيماء المقشعرة كجلد الأوزة[١٤]؟

---

(١٢) مكبت في هدا المشهد محاصر في قلعة دَنْسيان. وعلى الرغم من أنه مايزال واثقاً بنبوءات الساحرات الثلاث، يبّد أننا نراه أكثر عصبية، وأكثر تناقضاً مع نفسه، لدرحة أنه أمر الطبيب لإيجاد علاج لاسكتلندا، وبالتالي علاج له هو، أكثر مں زوجته.

(١٣) أي: المتَعمون المنغمسون في الملذات.

(١٤) في هدا الحوار بيں مكبث والحادم يطهر لدى مكبث هلع حاسة السمع ومں ثمّ في الأخص حاسة البصر عں طريق الألوان. هـا بدأ مكبث يتطيّر من اللون الأبيض

الخادم : هناك عشرة آلاف ـ

مكبث : أوزة يا وغد؟

الخادم : جنود، يا سيدي.

مكبث : إذهبْ، خزْ وجهك وأجعل بياضه أحمر بالدم،
أيها الصبي المخلوع الفؤاد، أيّ جنود، يا مجنون؟
أخذك الموت! خدّاك الأبيضان كالكتان،
يشجعان الآخرين على الخوف. أي جنود، ياوجهاً بلون مصل اللبن؟

الخادم : الجيش الإنكليزي، يا سيدي.

مكبث : اغربْ بوجهك عنّي **(يخرج الخادم)**. يا سيتون[١٥]! ـ إنني مكمود القلب ـ عندما أرى ـ ياسيتون، إسمعْ[١٦] ـ هذه الازمة إمّا تبهجني إلى الأبد، أو تزيحني عن العرش الآن.
لقد عشتُ طويلاً: إن سياق حياتي ينهار
مثل ورقة خريف ذابلة صفراء؛
وأما ما يجب أن يصاحب الشيخوخة،
كالتكريم، والحب، والطاعة، والأصدقاء الكثر،
فعليّ ألاّ أتوقع ذلك. لكن بدلاً عن ذلك،
فاللعنات، وهي غير مسموعة لكن عميقة، والتملق،

---

(١٥) حادم مكبت الأكثر موثوقية.
(١٦) لم يدخل سيتون بعد، إلاّ أن مكبث يتحدث إليه وكأنه موجود، مما يدلّ على ما يعاني من تشوّش.

والكلمات التي تقال ولا تُعنى، فبودّ قلبي المسكين
أن ينكرها بسرور ولا يستجرىء.
يا سيتون! ـ

**يدخل سيتون**

سيتون: ماذا يأمر جلالتكم؟
مكبث: هل من أخبار جديدة؟
سيتون: لقد تأكدتْ جميع الأخبار التي ذُكِرتْ، يا سيدي
مكبث: سأقاتل إلى أن يُنتزع اللحم عن عظامي.
أعطني الدرع.
سيتون: ما من حاجة لك، به الآن.
مكبث: سألبسه، أرسلوا مزيداً من الفرسان،
طوفوا في أنحاء البلد؛
واشنقوا أولائك الذين يتحدثون عن الخوف.
أعطني درعي. ـ **(إلى الطبيب)**
كيف حال مريضتك، أيّها الطبيب؟
الطبيب: ليست بذلك السوء، ياسيدي.
في حين إنها مضطربة بأوهام جمة
تمنعها من النوم.
مكبث: إشفِها من ذلك.
ألا يمكنك معالجة عقل معلول
وتقتلع من الذاكرة حزناً متجذّراً
وتمحو اضطرابات الدماغ المكتوبة

وببعضٍ من ترياق بارع يجلب النسيان،
تطهّر الصدر الطافح بذاك الحِمْل الخطِر
الذي يعصر قلبها؟

الطبيب :في مسألة كهذه
على المريض أن يطبِّب نفسه.

مكبث : إرم دواءك إلى الكلاب؛ لا نفع لي منه. ـ
(إلى سيتون) تعال، ألبسني درعي؛ أعطني رمحي. ـ
يا سيتون، وزِّع الأوامر. ـ **(إلى الطبيب)** أيها الطبيب،
لقد هرب الأمراء منّي. ـ
(إلى سيتون)، أسرع. **(إلى الطبيب)** إذا كان بوسعك
أيّها الطبيب، أن تفحص بول بلادي، وتجد علّتها
وتطهرها حتى تبات في صحة سليمة معافاة كالسابق
سأهتف لك عالياً، لدرجة يعود صدى هتافي إليَّ. ـ
**(إلى سيتون)** نزّعني إياه، أقول لك. ـ **(إلى الطبيب)**
أي النباتات الطبيّة، الراوند(١٧) والسنا(١٨)، أو أيّ
عقار مسهِّل يطهّر اسكتلندا من الإنكليز؟
هل سمعت عنهم؟

الطبيب :نعم يا سيّدي الطيب: إن استعدادك
الملكي يجعلنا نسمع شيئاً ما.

مكبث : **(إلى سيتون)** اتبعني بها. ـ

---

(١٧) بالإنكليزية RHUBARB.

(١٨) بالإنكليزية CYNNE.

لن أخاف من الموت والهلاك
إلى أن تأتي غابة بيرنام إلى دنسينان.

[يخرج

الطبيب:(**على حدة**) إذا ما صرتُ بعيداً عن دنسينان ومتأكداً،
فبالكاد سيجذبني المال إلى هنا مرة أخرى[١٩]،

---

(١٩) كأنما بكلام الطبيب هذا استعصت على العلاج الأمراض الفردية وأمراض الأمة. بكلمات أخرى ما من شفاء لمكبث وحكمه.

## المشهد الرابع

## (ريف قرب دنسينان. غابة في مجال النظر)

**طبل ورايات. يدخل مالكولم، وسيوارد المسنّ وابنه، ومكدف ومنتث وكاتنس، وأنغس، ولينوكس وروس، وجنود في موكب[٢٠]**

مالكولم: يا أولاد العمّ، آمل أن تكون قريبةً
تلك الأيام التي تكون فيها غرف النوم آمنة.

منتث : لا نشكّ في ذلك.

سيوارد: ماهذه الغابة التي أمامنا؟

منتث : غابة بيرنام.

مالكولم: دعْ كل جندي يقطع غصناً
ويحمله أمامه: وبهذا نخفي
عدد أفراد جيشنا، ونضلّل
عيون جنود العدوّ، فيخطئون بما يُخبرون عنا.

الجنود : سنفعل ذلك.

سيوارد : لا نسمع غير أن الطاغية الواثق من نفسه
باقٍ دائماً في دنسينان، ولا يمنعنا
من حصارها[٢١].

---

(٢٠) انضمت القوات المعادية لمكبث إلى بعضها بعضاً خارج القلعة قرب غابة بيرنام. أعطى مالكولم أوامره إلى الجنود بقطع أغصان من الأشجار ووضعها أمامهم حتى يُخفوا عددهم.

(٢١) أي حتى يضمن عدم هروب مَنْ معه. وفي تفسير آخر إنه لم يسلّم نفسه. إلا أن التفسير الأوّل أصوب ـ كما يبدو ـ لأنه ينمّ عن تضعضع الروح القتالية لدى أعوانه، كما يُستدل على ذلك مما قاله مكبث في بداية المشهد التالي.

مالكولم: هذا هو أمله الرئيسي.
لأنه حيثما وجد جيشه فرصة للهروب هربوا
فإن كبار القادة والجنود العاديين قد تمردوا عليه
ولم يبق تحت أمرته إلاّ المجبرون
الذين لا يقاتلون عن ولاء

مكدف: دعْ أحكامنا تنتظر،
إلى نهاية الواقعة، إذا أردنا لها
أن تكون صحيحة. ودعونا نحارب
بروح عسكرية جادّة.

سيوارد: لقد قرب الوقت الذي
سيجعلنا بالتأكيد نعرف ما ندعيه
وما نملكه حقاً.
التكهنات تتحدث عن آمالها غير المؤكدة
إلاّ أن ضربات القتال هي التي تعطي النتيجة المؤكدة
لنذهبْ إلى الحرب بهذه الروح.

**[يخرجون**

## المشهد الخامس

## دنسينان. خارج القلعة

## طبل ورايات. يدخل مكبث وسيتون وجنود(٢٢)

مكبث: علّقوا راياتنا على الجدران الخارجية إيذاناً بالحرب؛
ماتزال الصيحة هي هي: «إنّهم قادمون!»
حصانة قلعتنا ستضحك غير آبهة بالحصار
يلتهمهم الجوع والحمّى.
ولو لم يتقووا بهؤلاء الذين هربوا منا
لالتحمنا معهم ببسالة، وجهاً لوجه،
وأجبرناهم على الرجوع مدحورين إلى بلدهم،

**(صراخ نساء في الخارج)**

ما هذا الصياح؟

سيتون: عياط نساء، ياسيدي الطيّب.

مكبث: لقد نسيتُ في الغالب، مذاق المخاوف(٢٣).
مرّ بي وقت، تتجمد فيه حواسيّ
إن أنا سمعت زعيقاً ليلياً،
ويقف شعر رأسي من سماع حكاية مرعبة،

---

(٢٢) في هدا المشهد يعلم مكبث بخبر وفاة روحته، مما سبب له انهياراً في معوياته. ثم أكتر من دلك يحبره رسوله أن عابة بيرنام بدأت تتحرك. فعلى هذا لم يعد مكيث يطيق الانتظار، فيأمر قواته للاستعداد لترك القلعة، فالقتال.

(٢٣) بكلمة مذاق، يشعر بايذان بآستعمال حاسة الذوق، لاسيّما بكلمة تجرّعت كذلك.

وكأنما شعري شيء حيّ. لقد تجرّعت الفظائع حتى
الثمالة،
فلا يمكن لرعب، مألوف لأفكاري المجرمة
أن تجفلني.

**يعود سيتون**

ما سبب ذلك العياط؟

سيتون: الملكة، يا سيدي، ماتت.

مكبث: كانت ستموت فيما بعد[٢٤]:
كان لي فيما مضى وقت أفضل
للتجاوب مع خبر كهذا
يزحف غَدٌ وغَدٌ وغَدٌ،
بهذه الخطى البطيئة من يوم إلى يوم
إلى آخر لحظة مكتوبة للحياة.
وكل أيامنا الماضية أنارت للحمقى
الطريق إلى الموت المعفّر. إنطفئي، إنطفئي، أيتها
الشمعة[٢٥]

(٢٤) يختلف النقّاد اختلافاً كبيراً في هذا المقطع بكامله. فمنهم من يعتقد أنها (أي الليدي مكبث) ستموت عاجلاً أم آجلاً، أو كان عليها أن تختار وقتاً آخر في المستقبل. ففي السطر الأول يختلفون على كلمتين: الأولى HEREAFTER هل معناها: «بعد هذا الوقت» أم «في وقت ما». أما الكلمة الثانية فهي SHOULD هل تعني WOULD أم OUGHT TO BE، بكلمات أخرى: «ما سيكون» أم «ما يجب أن يكون». (للمزيد راجع كنيث ميور في طبعة آردن: صفحات ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤).

(٢٥) جاء في سفر أيوب ـ الإصحاح الثامن عشر (٦): «النور يظلم في خيمته وسراجه فوقه يظلم». (عن نفس المصدر أعلاه).

القصيرة الأجل!
ما الحياة إلاّ ظلّ سائر[٢٦]، ممثل يثير الشفقة[٢٧]
يؤدي ساعته على المسرح بتبجح واهتياج.
وبعدئذ لا يُسمع منه شيء
الحياة حكاية يرويها ممثل أخرق
مشحونة بالصخب والنزف، ولا تعني شيّا

**يدخل رسول**

جئت لتستعمل لسانك، هاتِ أخبارك بسرعة.

الرسول: سيّدي الكريم،
أخبرك أن ما أقول هو ما رأيتُ
لكن لا أعرف كيف أقوله.

مكبث: إيه، قل، يا سيّد.

الرسول: بينما كنت أترصّد فوق التلّ،
نظرت ناحية بيرنام، وفي الحال، تخيّلتُ
أن الغابة بدأت تتحرك.

مكبث: كذّاب وأجير!

الرسول: دعني أتحمّل تبعات غضبك، إن لم يكن الأمر كذلك.
قد تراها قادمة في هذه الأميال الثلاثة،
أقول إنها غيضة تتحرك.

---

(٢٦) جاء في سفر أيوب ـ الإصحاح الثامن رقم (٩): «لأننا نحن من أمس ولا نعلم لأن أيامنا على الأرض ظلّ». (عن نفس المصدر السابق).
(٢٧) لأن حياته قصيرة على مسرح حياته.

مكبث: إذا تكلمت بطلاناً
فسأعلقك حياً على أقرب شجرة[٢٨]
إلى أن يُذويك الجوع: وإذا كان كلامك صادقاً
فلا يهمّني[٢٩] إن فعلتَ بي نفس الشيء. ـ أشدُّ على زمام عزيمتي
وأبدأ أتخوّف من كلام الشيطان المبطّن،
يكذب كأنه يقول الحقيقة: «لا تخف إلى أن
تأتي غابة بيرنام إلى دنسينان».
إلى السلاح، إلى السلاح، واخرجوا إلى القتال
إن كان ما قاله حقيقة
فلا مهرب من هذا المكان، ولا مكوث هنا
بدأت أتعب من شمس الحياة،
وأرغب الآن لو أن هيكل الوجود يتدمّر. ـ
إقرعوا ناقوس الخطر! ـ أعصفي يا ريح!
تعال يا خراب!
نموت ونحن في عدّة القتال على أقلّ تقدير.

---

(٢٨) كان المجرمون يُشنقون على الأشجار.
(٢٩) يُلاحظ هنا أن مكبث بدأ يتكلم بصيغة المفرد وكأنه نسي أنه ملك.

## المشهد السادس نفس المشهد.

## سهل أمام القلعة

**يدخل مالكولم، وسيوارد المسنّ ومكدف...الخ وجيشه وفي أيديهم الأغصان. طبول ورايات[٣٠]**

مالكولم: والآن نحن قريبون كفايةً، ألقوا عنكم أستار الشجر،
وأسفروا عن أنفسكم، كما أنتم عليه. **(إلى سيوارد المسنّ)**
ستقود أيّها الكفوء مع ابن خالي ـ ابنك النبيل،
الكتيبة الأولى، وسنكون مكدف النبيل
و«نحن»[٣١] مسؤولين عمّا تبقّى
وفقاً للخطّة التي رسمناها.

سيوارد: راجياً لكم الموفقية. ـ
إذا التقينا جيش الطاغية هذه الليلة،
فلْنُهزَم، إن نحن لم نُحِسن القتال.

كدف: دعوا كلَّ أبواقنا تصيح؛ أعطوها كلها أنفاساً طويلة
تلك هي رُسُل الدم والموت الصخّابة.

**[يخرجون. الأبواق مستمرة**

---

٣) في هذا المشهد تبدأ المعركة وتسقط دفاعات القلعة. أخيراً يبدأ النزال بين مكبث ومكدف. وخلال القتال يتعرف مكبث على أن مكدف لم تلده أمّ ولادة طبيعيّة، لكنه رغم ذلك يقاتل حتى النهاية.

٣) مالكولم الآن يتخذ صيغة الجمع وكأنه ملك.

## المشهد السابع

## نفس المشهد. ناحية أخرى من السهل

## يدخل مكبث

مكبث : لقد ربطوني إلى وتد[٣٢]، لا أقوى على الهروب،
وعليّ كالدبّ المراهَن عليه، أن أقاتل شوط الكلاب الأول
مَنْ ذاك الذي لم تلدْهُ أمرأة؟ شخص كهذا
لا أخافه، ولا أحداً غيره.

سيوارد الابن: ما اسمك؟

مكبث : ستخاف من سماعه.

سيوارد الابن: لا، حتى لو كان اسمك أكره اسم
في الجحيم

مكبث : إسمي مكبث.

سيوارد الابن: حتى الشيطان نفسه لا يمكن أن يلفظ
آسماً أشدَّ كرهاً على أذني.

مكبث : لا، ولا أكثر رعباً.

سيوارد الابن: أنت تكذب، أيّها الطاغية المقيت، بسيفي
سأبرهن على الكذبة التي قلتها.

**[يتقاتلان ويُذبح سيوارد الابن**

---

(٣٢) كان الرهان على الدببة المشدودة إلى وتد من الألعاب الرياضية المحببة لدى الإنكليز القدامى. في الشوط الأول تبدأ الكلاب بنهش وعض الدب.

مكبث : لقد وَلَدَتْك امرأة: ـ
أبتسمُ للسيوف، وأسخرُ من الأسلحة التي
يلوّح بها رجل ولدته امرأة.

**[يخرج**

**بوق. يدخل مكدف**

مكدف: تأتي الضوضاء من ذلك الطريق **[ينادي على مكبث]**
أيّها الطاغية، إطلعْ علينا
إن أنت ذُبحتَ بغير ضربة من سيفي
فستلاحقني أشباح زوجتي وأولادي إلى الأبد
لا يمكن أن أضرب الجنود الإيرلنديين المشاة
الذين بالرشوة يحملون رماحهم:
إما أنت يا مكبث، أو،
أغمد سيفي بحافة غير كليلة، مرة ثانية ولم يؤدِ
أية مآثر. لابدَّ أن تكون هناك.
يبدو من هذه الضوضاء أن شخصاً ذا شأن
أُعلن عن قدومه. دعيني أجده، يا ربّة الحظّ
ولن أطلب منك شيئاً آخر.

**يدخل مالكولم وسيوارد**

سيوارد : من هنا يا سيدي.
إستسلمت القلعة بلا مقاومة:
إن جنود الطاغية يقاتلون في كلا الجانبين؛
الأمراء النبلاء يُبلون بلاءً حسناً في القتال

تعلن المعركة نفسُها إنها إلى جانبك في الأكثر
ولم يبق ما نفعله إلاّ القليل.

مالكولم: لقد واجهنا أعداءً
يخطئون التهديف علينا عمداً

سيوارد: أدخلْ يا سيدي القلعة.

**[يخرجان. بوق**

## المشهد الثامن

## (ناحية أخرى من ميدان القتال)

**يدخل مكبث**

مكبث: لماذا أموت ميتة الأحمق الروماني[٣٣]،
وأقتل نفسي بسيفي
بينما أرى آخرين أحياء، وجراحهم
تليق بهم أكثر مما تليق بي.

**يدخل مكدف**

مكدف: دُرْ إلى الوراء، يا عبد الشيطان، دُرْ

مكبث: من جميع الرجال أنت مَنْ تجنّبتُ:
ابتعدْ، فروحي مثقلة تماماً
بسفح دماء عائلتك قبل الآن.

مكدف: ما من كلمات لك عندي؛
صوتي في سيفي: أنت أيّها الشرّير
أكثر دموية مما تستطيع الكلمات أن تصفك.

**[يتقاتلان**

مكبث: إنك تضيّع جهودك:
قد يكون من الأسهل أن تضرب الهواء الذي لا يُقطع
بسيفك الحاد وتترك أثراً فيه،
من أن تجرحني فأنزف:

---

(٣٣) مكبث يحتقر أولائك الرومانيين الذين يقتلون أنفسهم حينما يندحرون ولا يتحملون العار. وهذا ما فعله بروتس وأنطونيو مثلاً.

دعْ نصل سيفك يهوي على خوذ الجنود التي يمكن
أن تُجرح بسهولة.
إنَّ حياتي محصّنة بتعويذة سحريّة،
لا يمكن أن تستسلم لرجل ولدته امرأة.

مكدف: فلتيأسْ من تعويذتك.
ودع الشيطان الذي كنت في خدمته دائماً،
يخبرك أن مكدف شُقَّ خديجاً
من بطن أمّه.

مكبث: اللعنة على ذلك اللسان الذي أخبرني بذلك.
لقد أضعف الجانب الأفضل من رجولتي:
لتكن هذه الشياطين الخداعة موضع شكّ بعد الآن،
إنها تبطِّن كلامها بمعنييْن. تُبقي على كلمة الوعد
لأذننا، وتكسرها في أملنا. ـ لن أتقاتل معك.

مكدف: استسلم إذن، أيّها الجبان،
وعِشْ لتكون مشهداً وفرجة للناس،
وكما نفعل مع حيواناتنا النادرة(٣٤)،
سنعلن صورتك في بيرق، ونكتب تحتها:
«هنا تشاهدون الطاغية».

مكبث: لن أستسلم
حتى لا أقبّل الأرض أمام قدمي مالكولم الصبي، ملكاً،

(٣٤) جرت العادة في ذلك الزمن تعليق صور الحيوانات الغريبة ليراها الناس.

وحتى لا أتعذّب (كالدبّ) بلعنة الرعاع.
على الرغم من أنَّ غابة بيرنام جاءت إلى دنسينان
وأنت الذي أمامي لم تلدْكَ امرأة،
فإنني سأحاول حتى الرمق الأخير
درأتُ ترسي الحربي أمام جسدي.
هيّا إلى القتال يا مكدف،
واللعنة على من يصرخ أولاً: قفْ. كفى.

**[يخرجان وهما يتقاتلان. أبواق. يدخلان مرة ثانية يتقاتلان. يُقتل مكبث**

## المشهد التاسع

## خارج القلعة. صفير بوق إيذاناً بانتهاء المعركة

**طبل، رايات، يدخل مالكولم، وسيوارد المسنّ، وروس، أمراء وجنود.**

مالكولم: أودّ لو أن الأصدقاء الذين أفتقدناهم
قد وصلوا سالمين من المعركة.

سيوارد: لابدَّ أن بعضهم قد قُتِل؛ مع ذلك
فيمكن أن نحكم من عدد هؤلاء الأمراء والجنود
الذين أراهم حواليك، أن يوماً عظيماً جداً كهذا
اشتريناه بثمن بخس.

مالكولم: مكدف مفقود، مع ابنك النبيل.

روس : ابنك يا سيدي، دفع دَيْنه جندياً:
لقد عاش من العمر ما يكفي للبرهنة على أنه رجل
وكونه رجلاً أثبت في الحال رجولته،
في المكان الذي لم يتراجع عنه،
فمات رجلاً.

سيوارد: إذن هو ميت؟

روس : نعم، وأُخرج من الميدان. يجب ألاّ تُقاس
علّة حزنك، بمقدار قيمته، لأن الحزن
عندئذٍ لن تكون له نهاية.

سيوارد: هل كانت جراحة من قُبُلٍ؟

روس : نعم، من قُبُلٍ.

سيوارد: إذن، كان جنديَّ الله!
لو كان لديَّ أولاد بقدر ما لديَّ من شَعَر
لما تمنيّتُ لهم ميتة أفضل، لهذا
فإن ناقوس نعيه يدقّ.
مالكولم: إنه يستحق حزناً أكثر،
وهذا ما سأقضي له به.
سيوارد: ما من حزن أكثر
قيل إنه مات بكرامة، فدفع حسابه.
إذن، ليكن الله معه! ـ ها هو عزاء أجدّ يأتي

**يدخل مكدف برأس مكبث**

مكدف: سلاماً أيّها الملك، وهذا هو ما أنت، أنظرْ
أين ينتصب رأس الغاصب اللعين، لقد تحرّر العالم.
أراك محاطاً بلآلىء مملكتك،
الذين يعيدون ترحيبي بك في قلوبهم
أودّ أن تعلو أصواتهم مع صوتي، ـ
سلاماً يا ملك أسكتلندا!
الجميع : سلاماً يا ملك أسكتلندا

[بوق

مالكولم: لن نصرف مدّة كبيرة من الوقت
قبل أن نكافىء كلَّ واحد منكم على خدماته
مما يجعلنا متساوين في دفع ما علينا. يا أمرائي وأقربائي
من الآن أعطيكم لقب «أيرل»، وهو أول نعت

يمنحه ملك أسكتلندا بشرف كهذا.
وكل شيء آخر يجب عمله، يجب إعطاؤه
بداية جديدة في ظرف جديد ـ
مثل إرجاع أصدقائنا المنفيين من الخارج
الذين هربوا من أشراك الطاغية الذي كان يترصدهم دائماً؛
ونقدِّم للعدالة الأعوان القساة
لهذا السفّاح الميّت، ومليكته الشبيهة بالشيطان،
التي، كما يُعتقد ـ بيديها القاسيتين. نزعت حياتها ـ
هذا وكل شيء آخر يدعونا سنلبيّ بعون الله،
بالقدر الصائب وفي الزمان والمكان المناسبيْن
لذا شكراً لكم جميعاً بلا تأخير، ولكل فرد منكم،
ونوجّه لكم الدعوة لتشهدوا تتويجاً في قصر (شكون).

**[بوق. يخرجون**

**إنتهت**

# مكبث

ما المبرر لهذه الترجمة العربية الجديدة لمكبث وقد تُرجمت من قبل؟

قد يجاب عن هذا السؤال بسؤال مشابه: لماذا توجد عدة طبعات لمكبث باللغة الانكليزية، علماً أن النص فيها يكاد يكون واحداً، والاختلافات في قراءة كلمة هنا، أو كلمة هناك تُعَدّ؟

الشرّاح الانكليز يجدون مبرّرهم في طريقة فهم النصّ، لذا تختلف هذه الطبعات باختلاف ثقافات الشرّاح وقدرتهم على تحليل فهم النصّ وتقنياته، ومدى تعمّقهم في تصوّرات وعقائد ومفاهيم العصر الاليزابيثي الذي عاش فيه شكسبير.

المترجم العربي لا يختلف في مبرراته عن الشارح الانكليزي، مع فارق جسيم هو أنّ الترجمة مهما كانت أمينة ودقيقة تبقى غير دقيقة. لـ فالترجمات المتعددة لعمل واحد هي إثراء بوجه أو بآخر ومحاو للاقتراب من النص أكثر فأكثر.

أما مبررات هذه الترجمة، فكانت ردّة فعل، على اجتهادات غريبة في الترجمات السابقة، غرابة لافتة للنظر، تضرّ بشكسبير، وبالقارئ العر في آن واحد.

